

قراءات .. في عقائد الغرب

فيصل بن علي الكاملي

قراءات في عقائد الغرب

تأليف

فيصل بن علي الكاملي

الطبعة الأولى

ح مجلة البيان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كاملي، فيصل علي أحمد

قراءات في عقائد الغرب./ فيصل علي أحمد كاملي، - الرياض، ١٤٣٤هـ

ص ١٤١؛ ١٦,٥×٢٢,٢ سم

ردمك: ٨ - ٢٧ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - اللاهوت النصراني ٢- علم الكلام

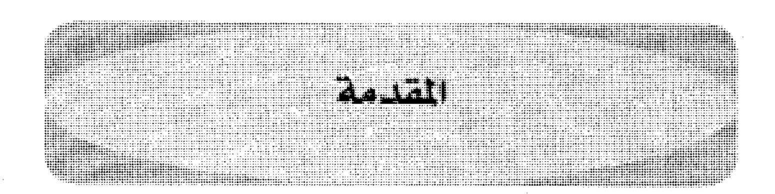
٣ - العقائد أ. العنوان

ديوي ٢٩١,٢ ١٤٣٤/٢٧٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٧٩٣

ردمك: ٨ - ٢٧ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد فقد سألني من تعينت إجابته أن أجمع شتات ما سطرته من مقالات لمجلة البيان في الزاوية الموسومة بـ«الغرب: قراءة عقدية»، فأجبتهم إلى ذلك بهذا الذي بين يديك. وقد جعلت ترتيبه حسب موضوعه دون اعتبار لتاريخ نشره. فبدأت بما يتعلق بالمصدر التي يعتمده الغرب المتدين - أعنى الذي يدْعونه «الكتاب المقدس»، وبينت زيف ما يدَّعونه من كثرة مخطوطاته وصيانة لغاته. ثم أتبعت ذلك بذكر المستشرقين ونظرتهم لكتاب الله عز وجل ودسائسهم في ترجمات معاني القرآن، وأوردت صورة من إعجاز كتاب الله عز وجل مقابل ما يدعونه من عصمة كتابهم.

انتقلت بعدها إلى أصول الباطنية الغربية وعلاقتها بالوثنيات البابلية والفرعونية واليونانية والرومية، وكيف تسربت بعض أشكال هذه الباطنية إلى بلاد الإسلام بأشكال منها تَعلُّق تمائم القرن التي تعرف بسوار الطاقة ونحوها.

أوردت بعد ذلك ما يتعلق بمعقل النصرانية الأول في بلاد الغرب - أعني روما ويدها الخفية في السياسة العالمية عن طريق التنظيم اليسوعي الباطني، ومشروعها الذي يسعى من خلاله إلى استرداد بيت المقدس باسم حل الدولتين، ودور البهائية في خدمة هذا المشروع. وختمت بدور الغرب المتدين في توجيه السياسة العالمية كما في أحداث السودان وسوريا وكذا الأزمة المالية. وقد حرصت في هذا كله على أن أبقي نص المقالات كما نشر في أصله إلا بالقدر الذي تستدعيه الحاجة.

أسأل الله أن يجعل ما سطرته زاداً إلى حسن المصير إليه، وعتاداً إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فيصل علي الكاملي

popedia@windowslive.com

تحريف التوراة.. متى وكيف؟ (١)

مجلة البيان - عدد (٢٨٥)

تُعَدُّ تسمية «الكتاب المقدس» محاولةً من قِبَل نصارى العرب لإيجاد مرادف عربي للمصطلح الإنجليزي (Holy Bible)[١]. لكن كلمة Bible التي تشير إلى مجموع الأسفار «المقدسة» لدى اليهود والنصارى هي اشتقاق من الكلمة اليونانية biblia وتعني «كُتيِّباتٍ» لا «كتاباً». كما أن الكلمة اليونانية biblia هي مُصغَّر byblos؛ أي «ورق البَرْدِي» الذي كان يُجلَب من سواحل المدينة الفينيقية العتيقة Byblos وهي اليوم «جبيل» في لبنان[٢]. فالكلمة إذن تعني «لفائف» ضُمَّ بعضها إلى بعض. والأَوْلى الاقتصار على تسميته «كتاباً» دون نعته بـ «المقدس» عند الإشارة إلى مجمل ما يؤمن به اليهود والنصارى من أسفار العهدين (القديم والجديد)؛ ذلك بأن هذا هو اللفظ الذي استعمله القرآن في مثل قوله - تعالى - :

(١) يستعمل بعض نصارى العرب الكلمة الإنجليزية Bible بأحرف عربية دون ترجمة هكذا «بَيْبل». فيقال - مثلاً - : كلية العلوم البيبلية.

(2) Random House Webster's Unabridged Dictionary, CD version 3.0 (Random House, Inc., 1999). (Under "Bible").

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾ [البقرة: ٧٩] الآية، ولأن قدسية الكتاب لم تَثبت واقعاً حتى عند كثير ممن يتعبَّد به.

يختلف كتاب اليهود عن كتاب النصارى في جوانب مهمة. فكتاب اليهود يضم تسعة وثلاثين سفراً كتبت في أصلها بالعبرانية عدا بعض الأجزاء التي كتبت بالآرامية (أو الإرَمية)، وليس منه ما يؤمن به النصارى مما يسمى «العهد الجديد». أما كتاب النصارى فيتألف من قسمين: «العهد القديم» وهو أسفار اليهود التسعة والثلاثون بالإضافة إلى «العهد الجديد» ويضم سبعة وعشرين سفراً يزعم جمهور علماء أهل الكتاب أنها سطرت في أصلها بلسان الإغريق[1].

لكنَّ نسخة العهد القديم التي تتبناها الكنيسة الرومية الكاثوليكية تزيد بسبعة أسفار عن أسفار اليهود خلافاً لنسخة البروتستانت التي تقتصر على الأسفار التسعة والثلاثين. وتُعْرف هذه الإضافات عند الروم الكاثوليك بـ Deuerocanonical Books أو «الأسفار الثانوية»، وتُدعى عند البروتستانت «أبوكريفا» Apocrypha، وهي كلمة يونانية الأصل وتعني «المخفيَّات»؛ أي الأسفار التي لا يُعلم حالها؛ ولذا أُخرجَت من قائمة الأسفار القانونية.

يعرف العهد القديم أو التوراة العبرانية عند اليهود بـ «ت - ن - ك» (وتُقرأ «تَناخ»)؛ وهي كلمة مركَّبة من الأحرف الأُوَل من كل قسم من أقسامه: تُوراه (التوراة أو الشريعة أو التعليم)، نبييم (الأنبياء)، وكتوبيم (الكتب).

(1) Bruce M Metzger & Michael D Coogan (Ed.), Oxford Companion To The Bible (Oxford & New York: Oxford University Press, 1993) p. 79.

١ - التوراة:

تضم التوراة (وتسمى أحياناً «بِنتاتيوك»)[١] خمسة أسفار هي: التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، والتثنية. ويحوي هذا القسم من التوراة العبرانية سلسلةً من القصص، تتخللها بعض التشريعات، وتقدِّم سرداً لمجموعة من الأحداث تبدأ بخلق السماوات والأرض وتنتهي بموت موسى عليه السلام[٢].

وعلى الرغم من الجدل المحتدم حول نسبة هذه الكتب إلى موسى - عليه السلام - فإن التقاليد اليهودية والنصرانية تؤكد على هذه النسبة وتنتصر لها ببعض نصوص التوراة العبرانية. لكنَّ ورود بعض هذه النصوص بصيغة الغائب يزيد الأمر تعقيداً. نقرأ على سبيل المثال في (سفر التثنية ٣١: ٩) «وكَتَب موسى هذه التوراة وسلَّمها للكهنة... ولجميع شيوخ إسرائيل»؛ فمن هو الراوي عن موسى - عليه السلام - هنا؟

كما أن الفقرات الثماني الأخيرة من سفر التثنية - الذي هو آخر الأسفار الخمسة التي تصف وفاة موسى، عليه السلام - كانت تشكِّل حرجاً لأحبار اليهود في القرن الثاني الميلادي الذين عَدُّوا «هذه التوراة» في النص السابق إشارة إلى جميع الأسفار الخمسة بما فيها سفر التثنية. وثمة نصوص أخرى يبدو أنها كُتبت في خلفية زمنية متأخرة عن الحدث الذي ترويه.

---

(١) البنتاتيوك Pentateuch كلمة يونانية الأصل وتعني: «الأسفار الخمسة».

(2) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM (Encyclopaedia Britannica, Inc, 1994-2002), (Under "Torah").

٢ - الأنبياء:

وينقسم إلى قسمين: الأنبياءِ القدامى والأنبياء المتأخرين.

أما قسم الأنبياء القدامى: فيشمل أربعة أسفار تاريخية، هي: سفر يوشع - عليه السلام - وسفر القضاة، وسفر صموئيل، وسفر الملوك.

وأما قسم الأنبياء المتأخرين: فيشمل أربعة أعمال نبوئية، هي: سفر إشعيا، وسفر أرميا، وسفر حزقيال، وأسفار الأنبياء الإثني عشر الموسومين بـ «الصغار» Minor Prophets. وقد كانت أسفار الأنبياء الإثني عشر تُكتَب على لفافة مفردة وتحوي أسفار هوشع ويوئيل وعاموس وعُبَديا ويونس (أو يونان) - عليه السلام - وميخا وناحوم وحبَقوق وصفنيا وحجّاي وزكريا (وهو غير النبي عليه السلام) وملاخي. لذا فإن قانون[1] «الأنبياء» العبراني يحوي في عمومه ثمانية أسفار.

أما قانون «الأنبياء» عند النصارى فلا يخصص قسماً لـ «الأنبياء القدامى» بل يُدخِلهم تحت مسمى «الأسفار التاريخية». كما أنه يستعير سفرين من قسم «الكتب» هما مراثي أرميا وسفر دانيال، عليه السلام. بَيْد أنه يَفصل الأسفار الإثني عشر كُلاً على حدة فيكون بذلك عدد أسفار «الأنبياء» سبعة عشر عند البروتستانت؛ أما الكنيسة الكاثوليكية فإنها تزيد على ذلك سفر «باروخ» الذي رفضته الكنيسة الأورثوذكسية في مجمع أورشليم المنعقد عام ١٦٧٢م.

---

(١) تستعمل كلمة «قانون» canon في مثل هذا السياق بمعني قائمة الأسفار المعتمدة في مقابل تلك المشكوك في صحتها.

أما في ما يخص «الأنبياء القدامى» فإن القانون البروتستانتي - على غرار النسخة السبعونية[١] - يفصل سفرَي صموئيل والملوك إلى صموئيل الأول وصموئيل الثاني، وكذا الملوك الأول والملوك الثاني. أما الكنيستان الكاثوليكية والأورثوذكسية فقد كانتا تُقسِّمان السفرين إلى أربعة: الملوك الأول والثاني والثالث والرابع دون ذكر لاسم صموئيل. لكنَّ جُلَّ الترجمات المعاصرة تلجأ إلى التقسيم المتبع في النسخة السبعونية[٢].

٣ - الكتب:

وهي القسم الثالث من أقسام التوراة العبرانية. ويحوي هذا القسم مجموعة متفرقة من الكتابات المقدسة لدى اليهود لم يمكن تصنيفها تحت «التوراة» أو «الأنبياء». وليس لهذه الكتابات وحدة أدبية بل تشمل ترانيم دينية (المزامير ومراثي أرميا)، وشعراً غزلياً (نشيد سليمان)، وحِكَماً ووصايا (الأمثال، وأيوب، والجامعة)، وتاريخاً (أخبار الأيام وعزرا ونحميا)، ورؤى ونبوءات (دانيال عليه السلام)، وقصة قصيرة (رُوث)، وحكاية غرامية (إستير)[٣].

هذا عرض مبسَّط لأسفار العهد القديم أو «التوراة العبرانية» أردت منه التمهيد لمقال لاحق - إن شاء الله - يعلِّق على قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾ [البقرة: ٧٩] الآية، وكيف حُرِّفَت التوراة فأصبحت أسفاراً بعد أن كانت سفراً.

---

(١) السبعونية: هي أقدم ترجمة يونانية للتوراة العبرانية.

(2) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM, (Under “Biblical Literature, Nevi’im”).

(3) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM, (Under “Biblical Literature, Ketuvim”).

تحريف التوراة.. متى وكيف؟ (٢)

مجلة البيان - عدد (٢٨٩)

بعد انقسام مملكة بني إسرائيل إلى مملكةٍ شمالية (إسرائيل) وأخرى جنوبية (يهوذا) عام (٩٣٠ ق. م) تقريباً، شرع الكهنة اللاويُّون[١] المتنافسون في الشمال والجنوب في تدوين ما تحصل لهم من تاريخ بدء الخليقة والأنبياء. فكتب الكهنة الموسَويُّون[٢] في «شيلوه» بمملكة الشمال ما يُعرَف بالنص أو المصدر «الإلوهيمي» Elohistic الذي يستعمل كلمة «إلُوهِيم» العبرانية للإشارة إلى الرب، ويرمز لهذا النص بالحرف الأول (E). أما الكهنة الهارونيون في مملكة الجنوب «يهوذا» فكتبوا النص «اليهْويِّ» Jahwistic الذي يشير إلى الرب باسم «يهْوَه»، ويرمز له بـ (J).

ولما سقطت مملكة الشمال عام (٧٢٢ ق. م) على أيدي الآشوريين أخذ اللاجئون من إسرائيل نسختهم الإلوهيمية (E) إلى الجنوب؛ فكان لا بد من الجنوح إلى التقريب

---

(١) نسبة إلى سبط «لاوي» أحد أبناء يعقوب - عليه السلام - حسب العهد القديم. ومن نسله موسى وهارون، عليهما السلام.

(٢) هكذا يسميهم بعض علماء العهد القديم، نسبة إلى موسى، عليه السلام.

بين فكر الشماليين والجنوبيين لأن تعايش الطرفين أضحى حتماً. فقام أحد الكتبة المجاهيل بضم الروايتين في رواية واحدة (JE) وتجنَّب الحذف منهما قدر الإمكان. وقد تمت هذه العملية بدقة متناهية، لكن آثار هذا الدمج لم يمكن إخفاؤها تماماً[١]. بَيْد أن هذا النص المشتَرَك أبقى على نصوصٍ تقدح في عدالة نبي الله هارون، عليه السلام.

فلما تولى «حزقيا» المُلْك (٧١٥ - ٦٨٧ ق. م) وشرع في إصلاحاته الدينية قام الكهنة الهارونيون بتلفيق وثيقة أخرى لتكون بديلاً عن النص المشترك (JE) وتُواكِبَ الإصلاحات القائمة. كما حذفوا من النص المشترك (JE) تلك القصص التي تحط من قدر هارون - عليه السلام - كقصة عبادة العجل التي تنسب صُنعَه إليه! كما أدخلوا فيه شريعة الكهنة الهارونيين التي تشكل جُلَّ «سفر اللاويين». وهنا نرى أن أهواء كهنة وأحبار بني إسرائيل هي التي حكَمت شريعتهم وليس العكس. تعرف هذه الوثيقة البديلة باسم «المصدر الكهنوتي» Priestly Source، ويرمز لها بالحرف الأول (P).

بعد وفاة الملك «حزقيا» وارتكاس بني إسرائيل في الوثنية ظهر مصلحٌ جديد هو «يوشِيَّا» الذي اعتلى العرش (٦٤٠ - ٦٠٩ ق. م) ملكاً على بني إسرائيل. رأى كهنة «شيلوه» الموسويون في هذا العهد فرصة سانحة لكتابة شريعة جديدة تخدم كهنوتهم، واتفق الكهنة والملك على وضع ما كتبوا داخل الهيكل وإعلان العثور عليه مصادفة وكأنه من آثار الأنبياء. كُتب هذا السفر ليلائم مذهب كهنة «شيلوه» ويشرِّع للإصلاح الجديد ويصوِّر الملك «يوشِيَّا» كموسى آخر ينقذ مملكة «يهوذا». يُرمَز لهذا السفر بـ (Dtr1)؛ أي «تثنوي 1».

---

(١) كما سأبيِّنه في الجزء الثالث إن شاء الله تعالى.

لكن الأمور لم تجرِ كما خُطِّط لها؛ فلم يطل بالمَلِك العمرُ ليكون منقذاً لبني إسرائيل كما كان موسى - عليه السلام - بل مات على إثر مواجهةٍ مع الجيش المصري عام (٦٠٩ ق. م) فانتقضت كل إصلاحاته من بعده، ثم دُمِّرت «مملكة يهوذا» على يد البابليين عام (٥٨٦ ق. م)، وأُحرق الهيكل، وأُبيدت العائلة الملكية، ونُفي اليهود إلى بابل، وتبددت الأحلام. فقام كاتب سفر «التثنية ١» بإضافة بعض التعديلات والتبريرات ليعكس الواقع التاريخي ويتلافى ما كان قد وقع فيه من تصويره «يوشِيًّا» مخلِّصاً لمملكة «يهوذا»؛ فعلل سقوط «مملكة يهوذا» ببعدها عن إصلاحات الملك الراحل. تُعرف هذه التعديلات النصية باسم «تثنوي 2» أو (Dtr2). أما مجموع النص الأصلي (Dtr1) وتعديلاته (Dtr2) فتؤلف ما يُعرَف بسفر «التثنية» أو «تثنية الاشتراع» (D) وهو السفر الخامس والأخير من الأسفار الخمسة التي تنسب كذباً وادِّعاء إلى موسى - عليه السلام - كما أشرتُ في الجزء الأول من هذا المقال.

لكن حال اليهود تغير بعد غزو الملك الفارسي «قورش» لبابل عام (٥٣٩ ق. م) وإعادة الملأ من يهود يَقدُمهم «عزرا» المعروف بالـ«كاتب» إلى بيت المقدس. فقد وجد «عزرا» نفسه أمام روايةٍ مشتركة (JE) تناقض الروايةَ الكهنوتية (P) في تاريخها وعقيدتها، وشريعةٍ (D) تنافس شريعة الكهنة (P). ولم تكن تلك المرحلة قابلة لمزيد تشرذم في صفوف الشعب الذي أذلَّه نير العبودية وقهر الجلاء. فكانت الفرصة سانحة للكاهن «عزرا» لأن يلفِّق ويوفِّق بين قصص وشرائع مختلفة بين دفتين. ففعل ذلك مع شيء من التعديل والتهذيب ثم قرأه على أتباعه من اليهود[1]. فعزرا (اليهودي/ الفارسي) هو الذي أعد «العهد القديم» في صورته الملفقة النهائية

(١) نحميا ٨: ٢، ٣.

التي بين أيدينا. وقد ذهب إلى هذا المؤلفُ الشهيرُ «ريتشارد فريدمان» في كتابه «مَن كتب التوراة؟» ونَقل مثلَه عن الكاتب النصراني «أندرياس فون مايس» الذي عاش قبل أكثر من أربعمائة عام[١].

لكنَّ ما توهم «فريدمان» أنه وليد أبحاثه وأبحاث من سبقه من النصارى قد أشار إليه أبو محمد بن حزم رحمه الله (ت. ٤٥٦ هـ) في «الفِصَل»؛ إذ قال: «وكان كتابة «عِزرا» للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس. وكُتُبهم تدل على أن «عزرا» لم يكتبها لهم ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت، بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خالين، ولم يكن فيهم حينئذٍ نبيٌّ أصلاً و لا القُبَّة و لا التابوت... ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونُسخت»[٢].

وأصرح منه قولُ السموءل يحيى بن عباس المغربي (ت ٥٧٠ هـ) - وهو ممن أسلم من أحبار اليهود -: «فلما رأى «عزرا» أن القوم قد أُحرِق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرَّق جمعهم ورُفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفَّق منه هذه التوراة التي في أيديهم؛ ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند البطائح بالعراق لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم؛ فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله»[٣].

---

(1) Richard E. Friedman. *Who Wrote the Bible?*, p. 242-244.

(٢) أبو محمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة: مكتبة الخانجي): ١/ ١٤٨ [حسب ترقيم الشاملة ١١, ٢].

(٣) السموءل المغربي، بَذْلُ المجهود في إفحام اليهود (دمشق: دار القلم/ بيروت: الدار الشامية، ١٤١٠ هـ)، ص١٣٤.

هذه قصة تلفيق اليهود للتوراة أوردتُها موجزة. وقد جاءت هذه القصة مزخرفة عند بعض من ينقل عن أهل الكتاب، مبالِغة في تعظيم الفارسي «عـزرا» الذي أسمته «عزيراً». قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: «وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك [أي حصلت لليهود في اتخاذهم عزيراً ابناً لله] أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم وسَبَوا كبارهم بقي العزير يبكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه. فبينما هو ذات يوم إذ مرَّ على جبانة، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول: وا مُطعِماه! وا كاسياه! فقال لها: ويحك من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لا يموت. قالت: يا عزير! فمن كان يُعلِّم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وُعِظ به. ثم قيل له: اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصلِّ هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخاً فما أطعمك فَكُلْه. فذهب ففعل ما أُمِر به فإذا الشيخ، فقال له: افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة. فقال: يا بني إسرائيل! قد جئتكم بالتوراة. فقالوا: يا عزير ما كنت كذاباً. فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلماً وكتب التوراة بأصبعه كُلَّها، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوها بها فوجدوا ما جاء به صحيحاً فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا لأنه ابن الله»[1].

وهي رواية مزوقة - كما ترى - لتلفيق «عزرا» للتوراة، وقد تكون من وضع بعض اليهود الذين أرادوا بمثلها أن يوهموا أهل الإسلام بصدق كتبهم، ولكن هيهات بعد أن

(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (دار الفكر، ١٤١٤ هـ): ٢/ ٤٢٤.

فضحهم الله - عز وجل - بقوله:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٩].

تحريف التوراة.. متى وكيف؟ (٣)

مجلة البيان - عدد (٢٩٠)

تحدثتُ في الجزء الثاني من هذا الموضوع عن تاريخ تحريف التوراة وبيَّنتُ - اعتماداً على ما يُعرَف في الأوساط العلمية باسم «نظرية المصادر» - أن «العهد القديم» (أو «التوراة العبرانية») التي بين أيدينا تحوي مصادر متعددة لُفِّقت لتؤلف نصاً واحداً؛ هذه المصادر هي «الإلوهيمي» و «اليهويُّ» و «الكهنوتي» و «التثنوي»، وما ذكرته هناك هو ما تذهب إليه الأغلبية الساحقة من علماء العهد القديم مع اختلافات يسيرة. لكنني أشرت كذلك إلى أن عملية تلفيق المصادر تمَّت بدقة متناهية؛ إلا أنَّ آثار التلفيق لم يمكن إخفاؤها تماماً، وهو ما سأمثِّل له هنا بقصة الطوفان.

تتألف قصة طوفان نوح - عليه السلام - كما يسجلها سفر التكوين من روايتين في نسيج واحد: إحداهما الرواية «اليهوية» التي تشير إلى الرب باسم «يهوه»، والأخرى هي الرواية «الكهنوتية». وسأورد أدناه جزءاً من قصة الطوفان مميِّزاً النص «اليهوي» بالقلم الأسود والنص «الكهنوتي» بالقلم البُنّي. وسيلحظ القارئ أن كل رواية منهما يمكن قراءتها على حدة دون إخلال بالسياق. يقول النص:

«٧ : ٢١ ومات كلُّ ذي جسد كان يدبُّ على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحَّافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. ٢٢ كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. ٢٣ فمحا يهوه كلَّ قائم كان على وجه الأرض، الناس والبهائم والدبَّابات وطيور السماء. فانمَّحت من الأرض وتبقَّى نوح والذين معه في الفلك فقط. ٢٤ وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً. ٨ : ١ ثم ذكر إلوهيم نوحاً وكلَّ الوحوش وكلَّ البهائم التي معه في الفلك. وأجاز إلوهيم ريحاً على الأرض فهدأت المياه. ٢ وانسدَّت ينابيع الغمر وطاقات السماء. فامتنع المطر من السماء. ٣ ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً. وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه. واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط. ٥ وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر. وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال. ٦ وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها. ٧ وأرسل الغراب، فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض. ٨ وأرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلَّت المياه عن وجه الأرض؟. ٩ فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها، فرجعت إليه إلى الفُلك لأن مياهاً كانت على وجه كل الأرض. فمدَّ يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك. ١٠ فلبث أيضاً سبعة أيام أُخَر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك، ١١ فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح أن المياه قد قلَّت عن الأرض. ١٢ فلبث أيضاً سبعة أيام أُخَر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه ثانية. ١٣ وكان في السنة الواحدة والست مئة في الشهر الأول في أول الشهر أنَّ المياه نشفت عن الأرض. فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف. ١٤ وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر

جفَّت الأرض. ١٥ وكلَّم إلوهيم نوحاً قائلاً: ١٦ اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساءُ بنيك معك. ١٧ وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسد الطيور والبهائم، وكل الدبابات التي تدب على الأرض أخرجها معك. ولتتوالد في الأرض وتثمر وتكثر على الأرض. ١٨ فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه. ١٩ وكل الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما يدبُّ على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك. ٢٠ وبنى نوح مذبحاً ليهوه. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. ٢١ فتنسم يهوه رائحة الرضا. وقال يهوه في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان؛ لأن تصوُّر قلب الإنسان شريرٌ منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حيٍّ كما فعلت. ٢٢ مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحَرٌّ وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال».

إن وجود روايتين متداخلتين في بعضهما ليس كل ما يميز هذا النص؛ بل ثمة ميزات أخرى، منها: أن النص اليهوي يطَّرد في استعمال اسم «يهوه» للإشارة إلى الرب، بينما يستعمل النص الكهنوتي اسم «إلوهيم» للغرض نفسه. كذلك تشير الرواية الكهنوتية إلى طول مدة الطوفان حتى تبلغ بها مئات الأيام بينما تجعلها الرواية اليهوية أربعين يوماً. كما نلحظ أن الطير الذي أرسله نوح - عليه السلام - طليعةً كان وَفْقاً للرواية اليهويَّة «حمامة» بينما كان «غراباً» وَفْقاً للرواية الكهنوتية. وأخيراً لا تتورع الرواية اليهوية عن تشبيه الخالق بخلقه؛ فالرب وَفْقاً لهذه الرواية يتنسم رائحة القرابين ويندم على لعنه الأرض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هذا الخلط بين مصادر العهد القديم نتج عنه تناقضات عدة، منها على سبيل المثال قصة يوسف - عليه السلام - في سفر التكوين ٣٧. فالرواية الإلوهيمية

تذكر أنه لما تآمر إخوته على التخلص منه صرفهم «رأوبين» عن فعلتهم فانتهوا إلى إلقاء يوسف - عليه السلام - في الجب. فمرت قافلة من المديانيين فأخذته وباعته بمصر. أما الرواية اليهوية فتنص على أن «يهوذا» هو الذي أقنع إخوته بعدم قتل يوسف - عليه السلام - وأن القافلة التي أخذته كانت من الإسماعيليين (نسبة إلى إسماعيل عليه السلام).

ومثل هذه التناقضات نجدها في مواضع كثيرة من الأسفار الخمسة التي تُنسَب كتابتها إلى موسى - عليه السلام - كاسم كاهن مديان (مدين) الذي تزوج موسى - عليه السلام - من إحدى بناته، فهو في الرواية الإلوهيمية «يثرون» [التكوين ٣ : ١] وفي الرواية اليهوية «رعوئيل» [التكوين ٢ : ١٦]، وكل محاولات الترقيع لا تجدي نفعاً؛ لأن تباين المصادر واضح جليٌّ خصوصاً في الأصل العبري الذي تتمايز فيه أساليب اللغة كذلك. فالتوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى لا تقوم أمام النقد العلمي البتة ولا ينبغي القول بأنها مجرد نسخة محرفة من الأصل الذي أنزل على موسى - عليه السلام - فالبون بينهما شاسع. بل جلُّها مما كتبه الكهنة وزعموا أنها من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً.

«توراة أصلية» في عربة القسيس!

مجلة البيان - عدد (٢٨٧)

دعاني أحد الأصدقاء ذات مرة لصحبته في حوارٍ مع أحد قساوسة النصارى بإحدى العواصم الغربية. دخلنا مكتب القس فرحب بنا وأجلسَنا قُبالته بينما أخذ يحكي لنا بأسلوب درامي كيف تعرف على النصرانية فملأت خواء قلبه بعد عقود من الضياع والإجرام (على حدِّ تعبيره). ثم أخذ هو ورفيقٌ له يؤطِّران للحوار قبل الشروع فيه فكان مما قال رفيقه: إننا - معشرَ النصارى - نملك بين أيدينا الأصل العبراني للعهد القديم والأصل اليوناني للعهد الجديد، فإذا ما اختلفنا في قراءة نصٍ مًّا، أحضرتُ الأصلين اللذَين أحتفظ بهما في عربتي. ودار الحوار حول المصادر إلى أن انتهى بنا إلى نُسَخ العهد القديم واختلافاتها فطلبت منهما إحضار النسختين العبرانية واليونانية من العربة، وهو ما لم يتوقعانه لظنهما أن مجرد الإيهام بامتلاك مصادر مكتوبة بلغات عتيقة كفيل بردع الخصم وتخويفه من الخوض فيها. فلما سقط في أيديهم اعتذرا عن إكمال الحوار بحجة انشغالهما فانصرفنا.

إن كثيراً من الدعاة إلى النصرانية يتَّبعون سياسة الاستقواء بالمجهول؛ فيزعمون - مثلاً - أن اختلاف نسخ التوراة المتداولة راجع إلى اختلاف المترجمين في التعبير عن الأصل العبراني الذي يجهله خصومهم، وأنه كاختلاف ترجمات معاني القرآن في محاولة التعبير عن الأصل العربي. وقد تجد أحدهم يدَّعي في النص ما ليس فيه بحجة أن الأصل يحتمل ذلك المعنى الذي لا يدرك كنهه إلا الخاصة؛ وهم بهذا يستغلون جهل أغلب المسلمين، بل أغلب النصارى، بالعبرانية أو اليونانية أو السُّريانية. وحيث إني قد بينت في مقال سابق أن «العهد الجديد» - وليس هو إنجيل عيسى عليه السلام - لم يكتب في أصله باليونانية كما يزعم علماء النصارى بل بلغةٍ ساميةٍ رجَّحتُ أنها السُّريانية، فسأكتفي بالحديث هنا عن العهد القديم وأبيِّن أن «أصله» العبراني المتداول فضلاً عن الترجمات ليس من عند الله بل هو قول البشر.

يعتمد جمهور علماء اليهود والنصارى النص المسوريَّ للعهد القديم (The Masoretic Text)؛ وهو الذي يقوم على التحقيق والضبط التقليدي المعروف بـ «مَسوراه» أو «ميراث» علماء اليهود الذين عُرفوا بالمسوريين نسبة إلى هذا التقليد. وقد بدأ المسوريون محاولة ضبط النص في القرن السادس الميلادي؛ أي بعد تدوينه بألف عام أو يزيد، ولم ينتهوا من ذلك إلا في القرن العاشر الميلادي في الأكاديميات التلمودية ببابل وفلسطين[1]. كما أن أقدم المخطوطات التي تحوي النص المسوري لا تعود إلى أبعد من القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[2].

---

(1) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM، (Under "Masoretic text").

(2) Freedman، David N. The Nine Commandments (New York: Doubleday، 2000) p. 87.

من أشهر طبعات النص المسوري تلك الموسومة بـ (Biblia Hebraica Stuttgartensia) وهي التي قال عنها العالم اليهودي «عمانوئيل طوف» بأن من سماتها «الانتقاء غير الموضوعي للقراءات المختلفة»[1]. فالقراءات التي اصطفاها المسوريون لم تكن وحياً بل هي اجتهاد بشري محض. مثال ذلك ما نقرؤه في سفر «صموئيل الأول ١٣ : ١»: «بِن شناه شاؤل بمالخو وشتي شانيم ملخ عل يسرائل» وتفسيره: «وكان شاول ابن سنة حين صار ملكاً، وملك سنتين على إسرائيل». وهذا من عجائب الدهر؛ إذ كيف يتأتى لرضيع لم يبلغ الفطام أن يحكم مملكة إسرائيل. فلما كان النص حرجاً بالنسبة لمترجمي «الكتاب المقدس» آثر بعضهم - كطبعة دار المشرق اليسوعية ١٩٩٤م - أن يكتب «وكان شاول ابن . . . سنة حين صار ملكاً، وملك . . . سنة على إسرائيل» دون ذكر لعدد السنين. فهذا خطأ ثابت في النص العبراني الذي يعد عندهم أصلاً، وليس من تصرُّف المترجمين.

وأعجب منه ما أورده سِفر «الأخبار الثاني ٢١ : ٢٠» قائلاً: «بن شلوشيم وشتايم هايا بمالخو وشموني شانيم ملخ بيروشلايم فيِّلِخ بِلو حِمداه» وتفسيره «وكان [يورام] ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، وذهبَ غيرَ مأسوف عليه»؛ أي أنه توفي في الأربعين من عمره. وهذا معقول؛ لكن النص يعقبه بقوله: «فأقام سكان أورشليم أحزيا ابنه ملكاً مكانه . . . وكان أَحَزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك» (في العبرانية: «بِن أربعيم وشتايم شناه بمالخو»). وهذا يعني أن «أَحَزيا» كان قد بلغ الثانية والأربعين من عمره لـمَّا توفي

(1) Emanuel Tov. Textual Criticism of the Hebrew Bible (Minneapolis: Augsburg Fortress Publishers، 2001)، p. 375.

أبوه «يورام» في سن الأربعين، فهو بذلك أول ابن في التاريخ يكبر أباه بعامين! وهذه مفارقة محفوظة في الأصل العبراني وليست في الترجمات فحسب.

أختم بمثال من سفر «صموئيل الثاني ٦ : ٢٣» جاء فيه «ولميخال بَت شاؤل لو هَايا لاه يالِد عَد يوم موتاه». وتفسيره: «ولم تلد ميكال ابنة شاول ولداً إلى يوم ماتت». لكن هذا النص يتعارض مع ما يدوِّنه السفر نفسه «٢١ : ٨» قائلاً: «حميشت بني ميخال بَت شاؤل أشير يَلداه لعدريئل» ومعناه: «. . . بني ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدَتْهم لعدريئيل . . .». فهل كان لميكال خمسة أبناء من عدريئيل أم أنها ماتت عاقراً؟ سؤال أَدَع الإجابة عنه لمن يدعي أن الأصل العبراني للعهد القديم من عند الله.

ولما كان علماء العهد القديم عاجزين أمام هذه الحقائق، أقر كثير منهم بوجود نص أصيل غير الذي بين أيديهم، فاتجهوا إلى نُسَخ أخرى يستعينون بها لإعادة بناء أصل التوراة كما عرفها بنو إسرائيل، من هذه النسخ: الترجمة السبعونية اليونانية، ومخطوطات البحر الميت التي لا تزال مثار جدل في الأوساط العلمية، وأطلق العلماء على هذا الأصل المفترض Ur-Text أي «النص الأصلي».

ولكن ينبغي أن يتنبَّه القارئ المسلم إلى أن النص الأصلي الذي يسعى علماء العهد القديم إلى استعادته ليس هو الكتاب الذي أنزل على موسى - عليه السلام - بل هو نص مفترَض يحوي كتب العهد القديم بوضعها الحالي مع شيء يسير من الاختلاف، فلا يعدو جهدُهم أن يكون سعياً لحل الاختلافات الموجودة بين نسخ التوراة المختلفة. وهذا النص - وإن توصلوا إليه - لن يرقى في مجمله إلى ما قبل

القرن السابع قبل الميلاد؛ فهو نص سطرته أيدي الأحبار ليشتروا به ثمناً قليلاً، باستثناء بعض المواطن التي شهد القرآن بصحتها.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾. [البقرة: ٧٩]

هل كُتبَت «الأناجيل» باليونانية؟

مجلة البيان - عدد (٢٧٨)

ترددتُ كثيراً في الكتابة حول هذا الموضوع لما يستدعيه من تفصيل قد ينوء بغير المهتمين به. لكنني لمَّا رأيت كثيراً من الدعاة إلى الإسلام في أوساط أهل الكتاب قد توهم صواب ما يزعمه علماء النصارى الغربيون من أن عيسى – عليه السلام – كان يتحدث اليونانية مع حوارييه وأن كُتَّاب أسفار العهد الجديد كتبوها باليونانية شرعت في الأمر ليعلم المهتم بهذا الشأن أن كل المخطوطات اليونانية للعهد الجديد – وهي التي يحتج بها النصارى لإثبات أن الله قد حفظ كتابهم – ما هي إلا ترجمات هزيلة لأصل ساميٍّ أقل هزالاً وهو نسخة الـ «بشيطا» أو البسيطة السُّريانية.

تُعَدُّ السريانية لغة متطورة عن الآرامية التي كانت سائدة في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وقد حلت محل اللغة الأكَّادية لتصبح اللغةَ الرسمية في المنطقة المسماة بالشرق الأوسط[1].

---

(1) Encyclopedia Britannica, «Aramaic Language».

وقد اختلف العلماء في أيهما كانت اللغة الرسمية في زمن المسيح - عليه السلام -: (الآرامية - السريانية) أم اليونانية؟ فيرى جمهور علماء الغرب أن كلتا اللغتين كانت ذات حضور قوي إلا أن اليونانية كانت هي اللغة الرسمية. وهذا الرأي محاولة من قِبَل الكنيسة الرومية لاختطاف النصرانية وجعلها تراثاً غربياً لا يختلف عن تراث فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو. لكن الدلائل التاريخية تشير إلى خلاف هذا تماماً. ف «جوزيفوس» اليهودي - على سبيل المثال - الذي كان ربيب البلاط الرومي في القرن الأول الميلادي يعترف بقوله: «وقد عانيت أيما معاناة لتحصيل علوم اليونان وفهم عناصر اللغة اليونانية، على الرغم من أني اعتدْتُ الحديث بلساننا نحن [العبرانية أو الآرامية] حتى إنني لا ألفظ اليونانية بدقة كافية»(1). وهذا دليل على أن اليونانية لم تكن اللغة الرسمية لعِلْية القوم فضلاً عن العامة.

كما يذكر «جوزيفوس» في كتابه «الحروب اليهودية» أن الروم طلبوا منه أن يدعو اليهود «بلغتهم الخاصة بهم» إلى الاستسلام. ولو كانت اليونانية يومئذٍ لغة رسمية يتحدثها اليهود والنصارى لأمكن التفاهم معهم بها دون الحاجة إلى العبرية أو الآرامية.

وعليه فإن الراجح أن اللغة السائدة بين اليهود والنصارى يومئذٍ كانت الآرامية أو العبرية وأن أسفار العهد الجديد كُتِبَت بلسان «ساميٍّ» ولم تكتب باليونانية كما يدَّعي نصارى الغرب؛ فهذا «يوسيبيوس القيصري» يخبرنا أن «متَّى» الذي يُنْسَب إليه أول أسفار العهد الجديد «كتب إنجيله بلغته المحلية»(2). أما الأب «جيروم» فيصرح بذلك

(1) Josephus, F. Antiquities 20:263-4. JOE Josephus Works - English Text. 1828 Whiston translation. (1999-2001 BibleWorks LLC), CD Version.

(2) Schaff, P. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series Vol. I. (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), p. 152.

قائلاً: «[متَّى] كان عبرانياً فكتب بالعبرانية»[١].

وأما مِن بين العلماء المعاصرين فإننا نجد «توري» يصرح بأن «سفر الرؤيا [آخر أسفار العهد الجديد] كُتِب بلغة سامية، وأن الترجمة اليونانية . . . تُعَد نقلاً دقيقاً جداً للأصل»[٢]. ويؤيده في ذلك «ر. ب. سكوت» بقوله: «سفر الرؤيا في مجمله ترجمة عن العبرانية أو الآرامية»[٣].

إن الترجمة اليونانية للنص السامي - الذي هو عندي نسخة «البسيطة» السريانية - مليء بالأغلاط الناتجة أحياناً عن المحاكاة المفرِطة للتراكيب السامية للنص السرياني، وأحياناً أخرى عن عدم فهم المعنى أو التعابير والصور البلاغية.

وأورد هنا بعض الأدلة النصية من أسفار العهد الجديد تبيِّن ما أشرت إليه من أن النسخ اليونانية لا تعدو ترجمات باهتة للنص السرياني للعهد الجديد المعروف بال «بشيطا». ولكن قبل إيراد الأمثلة أبيِّن الشاهد منها مجملاً. فلو أن أحداً عثر على الترجمات الإنجليزية التالية لنص مَّا:

- I passed by Saturn
- I passed by a leg
- I passed by a man

(1) Schaff, P. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series Vol. III. p. 363.

(2) Torrey, C. C. Documents of the Primitive Church (New York: 1941), p. 160.

(3) Scott, R.B.Y. The Original Language of the Apocalypse (Toronto: 1928), p. 6.

لما تردد في الجزم بأنها كلها ترجمات للجملة العربية: «مررتُ برَجُل» غير منقوطة أو مشكولة: فالترجمة الأولى قرأته: «مررت بزُحل»، والثانية: «مررت برِجْل»، والثالثة هي التي أصابت كبد الحقيقة فترجمته كما ينبغي. مثل هذا هو سبب اختلاف النسخ اليونانية المترجمة عن الأصل السرياني.

ونقرأ في رسالة بطرس الأُولَى (٣: ١٣) وَفْقاً لبعض الترجمات: «ومن سيؤذيكم إن كنتم متحمسين للخير» وفي ترجمات أخرى «ومن سيؤذيكم إن كنتم مقلِّدين للخير». فالاختلاف في الترجمتين ليس ناتجاً عن اختلاف الأسلوب وتخيُّر المرادفات، بل مرَدُّه إلى اختلاف النسخ اليونانية أصلاً. فتلك التي اختارت «متحمسين» آثرت النسخ اليونانية التي تقول (zélotai)، وتلك التي ترجمتْها «مقلدين» تبعت في ذلك النسخ اليونانية التي تقول (mimétai). لكننا عندما نرجع إلى النسخة السريانية نجدها تستعمل الكلمة (ط – ن – ن – ا). ومن معاني هذه الكلمة – كما يؤكد «المعجم الآرامي الشامل» CAL – «متحمِّس» أو «مقلِّد». فدل على أن الاختلاف بين النسخ اليونانية عائد إلى اختلاف فهم المترجمين اليونان للأصل السرياني.

وقد يكون اختلاف الترجمة اليونانية ناتجاً عن قراءة خاطئة للكلمة السريانية فيظن المترجم أنها شبيهتها. مثال ذلك قول بولس في رسالته إلى رومية (٥: ٧): «ولا يكاد يموت أحدٌ من أجل امرئ بارٍّ، وربما جرؤ أحد أن يموت من أجل امرئ صالح». وهو معنى هزيل كما ترى؛ فما معنى التضحية من أجل البارِّ دون الصالح؟

وعند العودة إلى الأصل السرياني نجد أن الكلمة التي تُرجمت «بارّ» هي (ر - ش - ي -ع - ا) بمعنى «طالح» أو «شرير». لكن الفرق في الخط السرياني السطرنجيلي بين صورة هذه الكلمة وصورة (ر - ش - ي - ن - ا) أي «بارٌّ» دقيق جداً. فكأنَّ الأمر التبس على المترجمين اليونان فظنوها (ر - ش - ي - ن - ا) للشبه الكبير بينهما، فتسبب ذلك في غرابة المعنى. فترجمة الفقرة وَفْقاً لنسخة البسيطة السريانية هي «ولا يكاد يموت أحد من أجل امرئ طالح، وربما جرؤ أحد أن يموت من أجل امرئ صالح» وهو معنى مقبولٌ وأكثر منطقية. ومثل هذه الاختلافات كثيرة جداً في النسخ اليونانية.

خلاصة القول: إن الأناجيل المحرفة التي يؤمن بها النصارى إنما كُتبت بالسريانية أصلاً ثم نقلت إلى اليونانية بصورة حرفية جداً تسببت في ركاكة النص اليوناني معنىً ومبنىً كما يقر بذلك المتخصصون في يونانية العهد الجديد.

أمَا وقد ثبت هذا فإن مخطوطات العهد الجديد التي يتباهى بها النصارى اليوم ليست سوى مجرد ترجمات وإن بلغت الآلاف، فلا يمكن إذن أن يُحتجَّ بها لإثبات أن أسفارهم محفوظة. كما أن النسخة السُّريانية «البسيطة» التي هي مصدر تلك النسَخ اليونانية لا تسلم من أغلاطٍ كبيرة؛ فأين مصادركم معشر النصارى؟

ثلاثة أيام في جهنم

مجلة البيان - عدد (٢٩٢)

من بين المعتقدات النصرانية الضاربة بجذورها في الوثنية زعمُ الكنيسة أنه لما تراكمت خطايا بني آدم التي ورثوها عن أبيهم نتيجة أكله من الشجرة صار لزاماً أن توجد «أضحية» فريدة تكون كفارةً عن خطايا البشر. فكان موت «يسوع» المسيح (عيسى عليه السلام) على الصليب. لكنه بعد موته نزل إلى «جهنَّم»، وحَرر المأسورين فيها، وقهر الموت، وقام في اليوم الثالث.

هذا الموروث الوثني لا يختلف في جوهره عن عقائد الفراعنة والبابليين وغيرهم ممن آمنوا بأن «بعلاً» أو «حورس» أو «أدونيس» نزل إلى «العالم السفلي» لخلاص البشر؛ وسيأتي بيان هذا في مقال لاحق. لكن الذي يهمنا هنا سؤالان:

أولهما: ما حقيقة «جهنم» أو «الهاوية» التي نزل إليها «يسوعُ» النصارى؟

والآخر: هل استطاع بموته المزعوم تخليص البشر من خطاياهم؟

يعتقد جلُّ النصارى أن عبارة «نزل إلى جهنم» في «عقيدة الرسل» The

Apostles' Creed تعني أنه مات حقيقة وأنه قهر الموت[1]. والكلام على هذا من وجوه:

أولاً: أن الكلمة التي استعملتْها «عقيدةُ الرسل» - وهي المرجع الأصرح والأهم لهذه الزندقة - لوصف «جهنم» هي (inferos) في اللاتينية و (katotata) في اليونانية؛ وتعنيان «السُّفْل» أو «العالم السفلي»، وهو بزعمهم العالم الذي يُحبَس فيه الموتى أو أرواحهم ويُعذَّبون. ويشار إليه في نُسَخ الأناجيل المحرَّفة باسم (شِيئول) في السُريانية، و (هادِيس) في اليونانية. وقد تباينت تفاسير النصارى لهاتين المفردتين ما بين قائل: إنها «جهنم» وآخر يزعم أنها «القبر» وثالث يقول: إنها عالم «الأموات»، وسبب هذا الاختلاف هو أنها عقيدة دخيلة ذات أصل وثني لا سماوي ﴿**يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ**﴾ [**التوبة**: ٣٠].

ثانياً: ينكر بعض النصارى عقيدة نزول «يسوع» إلى العالم السفلي تحرُّزاً من التباس عقائد النصارى بعقائد الأمم الوثنية البائدة. لكننا عند البحث في نصوص العهد الجديد نجد التطابق جلياً؛ ففي رسالة بولس الأُولَى إلى أهل كورنثوس نجد «أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب؛ وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» [١ كورنثوس ١٥ : ٣، ٤]. وهو صريح في موته وأنه غاب ثلاثة أيام قبل قيامته من الأموات كما حصل لآلهة الوثنيين. وعلى الرغم من أن رسالة بُطرس الأولى ٣ : ١٩ تسمي هذا العالم السفلي «سجناً» (phulake في اليونانية)، إلا أن الأصل السرياني يطَّرد في استعمال الكلمة «شيئول» التي تعني «الهاوية» أو «جهنم» أو «العالم السفلي».

---

(1) http://www.vatican.va/archive/ccc_css/archive/catechism/p122a5p1.htm

ثالثاً: عند دراسة نصوص العهدين يتبيَّن أن نزول «يسوع» إلى جهنم لم يكن نزول طائع مُريدٍ، بل كان نزول مُكرَهٍ؛ فقد قُيِّد بالحبال في باطن جهنم وعانى معاناة المجرمين، كما حصل لبعل وغيره من آلهة الوثنيين، ثم أقامه الرب من الأموات. نقرأ في ترجمة «فان دايك» العربية لسفر أعمال الرسل ٢ : ٢٤ «الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت؛ إذ لم يكن مُمكِناً أن يُمسَك منه».

قوله: «ناقضاً أوجاع الموت» ترجمة خاطئة لاعتمادها على ترجمة يونانية غير دقيقة. أما الأصل السرياني فيخبرنا أن الرب الذي أقامه «شرا حِبليه د - شيئول» أي «حَلَّ عنه حِبَال شيئول [جهنم]». فـ «حبلي» هنا تعني «حِبال» وليس «أوجاع». يشهد لصحة ذلك ما ورد في النص العبري من المزمور ١٨ : ٣ «حِبلي شيئول سبَابُوني. . .» ومعناه: «حِبال شيئول التفَّت حولي»؛ يؤيده تتمة الفقرة «وأَشراكُ [جمعُ شَرَك] الموت انتشبت بي» وهو ما ذهبت إليه أغلب الترجمات الإنجليزية.

فنحن إذن أمام تصوير وثني مقيت للمسيح - عليه السلام - نازلاً إلى باطن جهنم مُكرَهاً ليعاني ما عاناه آلهة البابليين والفراعنة والإغريق من الغم وشدة الوثاق، ثم يُحَل وَثاقه ليقوم في اليوم الثالث. ولو لم يكن لدى النصارى من الاعتقاد في عيسى - عليه السلام - سوى هذا لكفى به دليلاً على بشريته وأنه لم يكن إلهاً. فالرب هو الذي أقامه من الأموات - كما يشير سفر أعمال الرسل أعلاه - وهو الذي حَلَّ عنه حبال جهنم فلم يكن من الغابرين.

والدليل على صحة هذه القراءة ما ورد في سفر أعمال الرسل ٢ : ٣١ أن داود - عليه السلام - «تكلم عن قيامة المسيح [قائلاً]: إنه لم تُترك نفسُه في الهاوية، ولا

رأى جسدُه فساداً». وهذا مما يستدل به النصارى على قيامة المسيح من بين الموات. هنا يطَّرد الأصل السرياني في استعمال كلمة «شيئول» لوصف الهاوية. أما النص اليوناني فيستعمل لفظة «هاديس»، وهي الكلمة التي تستعملها الأساطير اليونانية (الإغريقية) للإشارة إلى العالم السفلي. فثبت أن المقصود بالعالم السفلي في كل السياقات أعلاه ليس القبر ولا السجن؛ وإنما المكان الذي يعذَّب فيه الخطاة كما عند قدماء الإغريق ومن على شاكلتهم.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الفعل «تُترك» مبني للمجهول في كل النسخ والترجمات المعتمدة، وهو دليل على أن خلاص «يسوع» لم يكن من تلقاء نفسه، بل ربُّه هو الذي فكَّ أسره وأنقذه من الموت ثم بَعث جسده ثانية قبل أن يفسد كما تفسد أجساد الموتى؛ فهو لم يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؛ فكيف يقال بأنه قهر الموت، وحرر السجناء في العالم السفلي، وهو ما استطاع أن يخلص نفسه؟

كما يشهد لعجزه أمام خالقه ما اقتبسه «لوقا» من سفر المزامير زاعماً أنه يتحدث عن قيامة المسيح عليه السلام. يقول نص المزامير: «احفظني يا الله لأني عليك توكلت! قلت للرب: أنت سيدي خيري، لا شيء غيرك... جعلت الربَّ أمامي في كل حين؛ لأنه عن يميني فلا أتزعزع... لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً... لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيَّك يرى فساداً» [المزامير ١٦ : ١ - ١٠].

فنَقول لـ «لوقا» ومن ذهب مذهبه من النصارى: إما أن يكون الحديث هنا عن «يسوع» المسيح كما تزعمون، وإما أن يكون عن غيره.

فإن سلَّمنا لكم جدلاً أن الحديث عنه لزمكم أن تسلِّموا بأنه كما قال: «لن تترك نفسي في الهاوية» قال: «احفظني يا الله لأني عليك توكلت!... أنت سيدي خيري، لا شيء غيرك... جعلتُ الرب أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع». وهو كلام عبد مؤمن خاضع لربه خاشع ليس له في الألوهية نصيب؛ بل إن سياق الكلام يؤكد عجْز المسيح عن خلاص نفسه؛ فكيف بخلاص غيره؟

ثم يقال لهم: إن الترجمة الصحيحة للنص العبراني الذي هو عمدتكم هي: «لن تتركَ نفسي لِشيئول، ولن تدع تَقيَّك يرى الهاوية». وفيها دليل قاطع على أن المسيح - عليه السلام - لم يرَ الهاوية بعينه فضلاً عن أن يُلقى فيها. وبهذا يتبين تلاعب المترجمين الذين اعتمدوا النسخة السبعونية اليونانية هنا هرباً من التناقض، حتى يستقيم لهم اقتباس «لوقا» في سفر أعمال الرسل!

وإن قلتم بأن الكلام غير متعلق بالمسيح أصلاً بطل استدلالكم به وتبين افتراء «لوقا» وكذبه. فعلى الحالين كليهما ليس في كتب الأنبياء ما يشير إلى موت المسيح - عليه السلام - تكفيراً عن خطايا البشر، ولا نزوله إلى باطن الأرض؛ لكنها عقيدة ثابتة عند النصارى ورثوها عن الوثنيين. والحق كل الحق في ما ورد في كتاب الله - عز وجل - من أن اليهود لم يقتلوا المسيح - عليه السلام - ولم يصلبوه ﴿**بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾. [النساء: ١٥٨].

ترجمات المستشرقين لمعاني الكتاب المبين (*)

مجلة البيان - عدد (٢٨٢)

يرى بعض المؤرخين أن أوَّل ترجمة لمعاني القرآن سجَّلها التاريخ هي ما كان في أثناء الهجرة إلى الحبشة عندما قرأ جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - على النجاشي آيات من سورة مريم ثم تُرجمَت له. ويذكر الإمام السرخسي في «المبسوط» «أن الفرس كتبوا إلى سلمان [الفارسي] - رضي الله عنه - أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية»[١]. لكنَّ هذا الخبر «مجهول الأصل لا يُعرَف له سند» كما ذكر الزرقاني في «مناهل العرفان»،[٢] فلا يعوَّل عليه.

(*) هذا البحث مختصر من كتاب:

Qadhi, Y. An Introduction to the Sciences of the Qur'aan (Birmingham, UK: Al-Hidaayah Publishing and Distribution, 1999).

(١) السرخسي. المبسوط، ج ١، ص ٣٥ (وفق ترقيم المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني).

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١١٥ (وفق ترقيم المكتبة الشاملة - الإصدار الثاني).

ومن بواكير الترجمات في تاريخ الإسلام ترجمة سُريانية قام بها بعض النصارى في زمن الحجاج بن يوسف. وكذلك ترجمة فارسية لمعاني القرآن قام بها موسى بن سيَّار في مستهلِّ القرن الثالث الهجري. كما يشير «ت. و. أرنولد» إلى احتمال وجود ترجمة صينية عتيقة[1]. غير أننا لا نملك ما يثبت أو ينفي هذه الإشارات. وأودُّ الاقتصار في هذا المقال على عرض الترجمات الأوروبية التي قام بها غير المسلمين معرِّفاً ومحذِّراً.

أما أول ترجمة لمعاني القرآن إلى لغة أوروبية فتلك التي قام بها «روبيرتوس ريتنسيس» عام ١١٤٣م. وقد كانت ترجمة إلى اللغة الرومية (اللاتينية) بتكليف من رئيس دير «كلوني» «بطرس المبجل». وكان الهدف منها النَّيل من الإسلام؛ إذ كانت هذه الحقبة تشهد حروباً صليبية طاحنة. وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي طلب «الفونس العاشر» من شخص يدعى «أبراهام الطليطلي» أن يترجم له أجزاء من القرآن إلى الإسبانية فترجم له سبعين سورة[2].

أما أول ترجمة إلى الإنجليزية فظهرت عام ١٥١٥م، وهي ترجمة جزئية لا تتجاوز إحدى وستين صفحة، كما أنها مجهولة لا يُعرَف من قام بها ولا من نشرها. إلا أنها تُستهَلُّ بعبارةٍ تُنْبِئ عن مقصود صاحبها؛ إذ تقول: «هذا مبتدأُ رسالةٍ وجيزة حول الشريعة التركية المسماة بالقرآن. كما أنها تتحدث عن «مَحامِت» الساحر

---

(1) World Bibliography of the Translations of the Meaning of the Qur'an, quoted in Qadhi, Y. An Introduction to the Sciences of the Qur'aan (Birmingham, UK: Al-Hidaayah Publishing and Distribution, 1999), p. 355-356.

(2) An Introduction to the Sciences of the Qur'aan, p. 357.

Machamet the [1]Nygromancer [يعني محمداً ﷺ]»[2].

أما أول ترجمة مكتملة إلى اللغة الإنجليزية فقام بها «الإسكندر روس» عام ١٦٤٩م، وهي ترجمة كثيرة الأغلاط ترجمها عن النسخة الفرنسية التي كان قد أعدها القنصل الفرنسي في مصر «أندريه دو رييه» ١٦٤٧م. وقدم «روس» لترجمته بقوله «ها أنذا أقدمه لك [يعني القرآن] ولم أبذل في ذلك جهداً سوى ترجمته عن الفرنسية. ولا أرتاب في أن هذا [القرآن] الذي هو سُمٌّ لجزء كبير من أُولِي السُّقم في العالم [يعني المسلمين] قد يكون ترياقاً يثبت صحة النصرانية»[3]. ولعل هذا البائس لم يقرأ قوله - تعالى - واصفاً كتابه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [**فصلت**: ٤٤]. وقد شهد على جهل هذا المتعالم الصليبيُ المعروف «صموئيل زويمر» قائلاً: «كان عديم الفقه للعربية، ولم يكن من علماء فرنسا المحقِّقين، فجاءت ترجمته بالِغةً في العجز مبلَغَه»[4].

وفي عام ١٦٩٨م قام الأب الكاثوليكي «لودوفيتش ماراتشي» - وقد كان

---

(١) هذه التهجئة القديمة للكلمة الإنجليزية necromancer من اليونانية nekro-manteia وتعني حرفياً: «المتنبئ بالمستقبل عن طريق التواصل مع الأموات» ويقال: «ممارس السحر الأسود».

(2) Ibid.

(3) Arberry, A. The Koran Interpreted (New York: The MacMillan Company, 1955), p. 8.

(4) Kidwai, A. R. English Translations of the Holy Qur'an: An Annotated Bibliography, p. 19.

كاهن اعتراف البابا «إنوسنت الحادي عشر» - بترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية، وأصبحت هذه الترجمة أساساً لكثير من الترجمات الإنجليزية فيما بعد. وقد جعل «ماراتشي» إهداء الترجمة إلى الإمبراطور الرومي «ليوبولد الأول» وقدَّم لها بمجلد كامل أسماه «دحض القرآن». وقد أشار «عبد الله يوسف علي» - صاحب الترجمة الإنجليزية الشهيرة - في مقدمة ترجمته إلى أن «ماراتشي» ضمَّن ترجمته «اقتباساتٍ من تفاسيرَ عربيةٍ مختلفة انتقاها بدقة ثم لفَّقها ببعضها ليُحدِث لدى أوروبا أسوأ انطباع عن الإسلام»[1].

وفي عام ١٧٣٤م انتهى «جورج سيل» من ترجمته التي اعتمد فيها على نسخة عربية للقرآن الكريم طبعت في هامبورج عام ١٦٩٤م، وهي لا تخلو من أخطاء. ولقلة بضاعته في العربية اتكأ على ترجمة «مراتشي» اللاتينية آنفة الذكر. لكن هذه الترجمة ظلت طوال قرنين عمدةً لدى الباحثين الغربيين، بل ترجمت إلى الهولندية والألمانية والفرنسية والروسية والسويدية والبلغارية، بل أعيدت طباعتها أكثر من مائة وعشرين مرة. يقول «جورج سيل» مبرراً الحاجة إلى ترجمته: «من الضرورة بمكان أن نُخلِّص المخدوعين ممن تبنَّوا آراء إيجابية تجاه النص الأصلي [للقرآن] بسبب الترجمات الجاهلة أو المنحازة التي ظهرت، وأن نمكِّن أنفسنا من كشف الدجل بشكل أكثر فاعلية...»[2]، وكأن تحريف المترجمين قبله لم يكن كافياً، فاستدعى الأمر مزيداً من الافتراء على كتاب الله، عز وجل. هذه الروح التي دوَّن بها ترجمته.

(1) Yusuf Ali, A. The Holy Qur'an: Translation and Commentary, p. xv.
(2) Sale, George. The Koran (London: Frederick Warne and Co., 1887).

أعقب هذا ترجمةُ القس «ج. م. رودويـل» إلى الإنجليزية عام ١٨٦١م. وقد تجاوز في مقدمتها على مقام النبوة واعتمد في ترتيب السور على كتاب Geschichte Des Qorans للمستشرق «نولدكه» زاعماً أنه ترتيب النزول. ثم ظهرت بعدها ترجمتان إنجليزيتان: إحداهما قام بها «إدوارد بالمر» عام ١٨٨٠م، والأخرى قام بها «ريتشارد بيل» عام ١٩٣٧م. وكل هذه الترجمات هي ما يتوقعه المرء من حاقد على الإسلام جاهل بلغة القرآن.

لكن أشهر ترجمات المستشرقين على الإطلاق هي ترجمة «آرثر آربري» التي أنجزها عام ١٩٥٥م. فالمترجم كان ذا باعٍ طويل في آداب العربية؛ فقد شغل منصب رئيس قسم الكلاسيكيات بجامعة القاهرة كما درَّس العربية بجامعة كامبرج. من أعماله ترجمة كتاب «طوق الحمامة» للإمام ابن حزم - رحمه الله - الذي يدل على تمكُّن «آربري» من آداب العربية والإنجليزية على السواء؛ إذ ترجم الشعر شعراً، وهو ما لا يستطيعه إلا قلة من المترجمين. فلما ترجم معاني القرآن أعيته بلاغة القرآن، فترجمتُه - في تقديري - لا تعكس تميُّزه الأدبي. لكنه لم يُخفِ عجزه بل اعتذر له قائلاً:

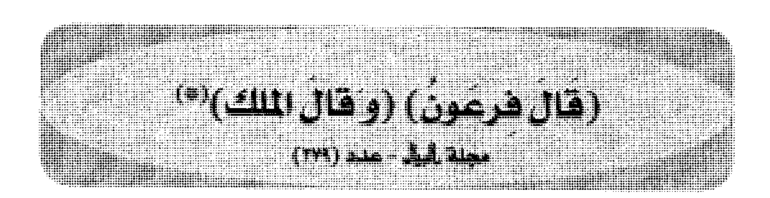
«إنني بتسميتي هذا العمل «القرآن مفسراً» لَأَخضع للرأي الإسلامي السائد الذي أدركه [المترجم الإنجليزي المسلم] «بيكثال» بأن القرآن لا يمكن أن يُترجَم... فبلاغةُ عربيةِ القرآن وإيقاعُها بالِغا التفرُّد والقوة والتأثير، حتى إن أي ترجمة مهما كانت لن تكون - بطبيعة الأمر - سوى محاكاة هزيلة لبهاء الأصل [العربي] الأخَّاذ»[1].

(1) Arberry, A. The Koran Interpreted, p. 26.

لكن ترجمته عجزت في مواطن كان حَرِياً بمثله ألا يعجز فيها، لكنه غياب التوفيق الرباني.

أخيراً: هناك ترجمة العراقي اليهودي «ن. ج. داود» التي انتهى منها بعد ظهور ترجمة «آربري» بعام واحد. وهي ترجمة تطفح بالأخطاء المتعمَّدة؛ فهو على سبيل المثال يترجم «بني آدم» بـ«بني الله» وهو تحريف بيِّن، وعلى مثله فَقِس.

ختاماً أؤكد: أن هذا العرض الذي قصرتُه على ترجمات المستشرقين لا يعني أن مجرد كون المرء مسلماً يتحدث لساناً أعجمياً إلى جانب لغة القرآن يخوِّله ذلك الشروعَ في ترجمة معاني القرآن التي هي في حقيقتها تفسير وجيز للقرآن بلغة أخرى؛ فلا ينبغي أن يتصدى له إلا مَنْ جمع بين العلم الشرعي واستيعاب دقائق العربية، وامتلك قلماً أدبياً يعكس به بعض جوانب الجمال في لغة القرآن.



يلحظ القارئ لأسفار «العهد القديم» أنها تستعمل لقب «فَرْعُه» - أي «فرعون» - للإشارة إلى ملوك مصر القديمة، يستوي في ذلك مَلك مصر في زمن يوسف عليه السلام ومَلكها في زمن موسى عليه السلام.

نقرأ - على سبيل المثال - في سفر التكوين (٤١ : ١٤): «فأرسل فرعونُ ودعا يوسف، فأسرعوا به من السجن». وفي قصة موسى عليه السلام نقرأ في سفر التكوين (٢ : ١٥): «وسمع فرعون بهذا الخبر فطلب أن يقتل موسى». إلى غير ذلك من النصوص المطَّردة في وصف مَلِك مصر بـ«فرعون» بغض النظر عن الزمن الذي عاش فيه.

(*) انظر دراسة مفصلة قيمة لهذا الموضوع على الرابط التالي:
http: / /www. islamic-awareness. org /Quran /Contrad /External / josephdetail. html

لكنّ الحال تختلف مع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فعندما ذكر الله عز وجل قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف قال: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُم**﴾ [**الأعراف**: ١٢٣]. فلما ذكر قصة يوسف عليه السلام قال: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ**﴾ [**يوسف**: ٤٣].

قال صاحب «التحرير والتنوير» معلقاً: «والتعريف في (المَلِكُ) للعهد، أي ملك مصر. وسماه القرآن هنا ملكاً ولم يسمه فرعون لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكاً لمصر أيام حَكَمها «الهكسوس»، وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة، أي البدو»[١]. فهل ما علل به ابن عاشور ثابتٌ فعلاً عند علماء الآثار والتاريخ؟

يحدد عالم الآثار «كينيث كِتْشن» تاريخ دخول يوسف عليه السلام إلى مصر بما يعرف بـ «الحقبة الوسطى الثانية» التي امتدت بين (١٦٧٤-١٥٥٣ق. م) تقريباً[٢]. ويعلل قاموس الكتاب المقدس (Nelson's Illustrated Bible Dictionary) اختيار هذه الحقبة كمُرَشّح لأحداث قصة يوسف عليه السلام بقوله:

«في أثناء هذا المرحلة من الضعف [الحقبة الوسطى الثانية] دخل البلادَ كثيرٌ من غير المصريين. وقامت جماعةٌ تدعى الهِكسوس - أي: الحكام الغرباء - بالاستيلاء

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (بيروت - لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ) ١٢/ ٦٨ [ترقيم المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني].

(2) Kitchen, K. A. The Bible in Its World: Archaeology and the Bible Today (Exeter: The Paternoster Press, 1977), p. 74.

على تلك الأمة. فأمكن رُقِيّ يوسفَ إلى منصب رفيع في بيت «فوطيفار» (تكوين: ٣٩) وتوليته مهمةَ جمعِ الغلال في أعوام الغوث (تكوين: ٤١)؛ وذلك لأن غرباء آخرين نالوا مناصب مهمة في حكومة الهكسوس»[١].

كما تنص «دائرة المعارف اليهودية» على أن «أولئك الذين يَعتبرون قصة يوسف واقعة تاريخية يذهبون في عمومهم إلى أن الفرعون الذي جعل يوسف حاكماً فعلياً لمصر كان أحد ملوك الهكسوس»[٢].

ومما يعزز الرأي القائل بأن دخول يوسف عليه السلام إلى مصر كان في زمن الهكسوس وجود الاسم السامي - العربي القديم - «يعقوب» على قائمة ملوك تلك الحقبة. يقول القاموس الكتابي (The Interpreter's Dictionary of The Bible): «إن تَوَلّي أحد الغرباء منصباً رفيعاً في الحكومة المصرية يشير أيضاً إلى حكم الهكسوس الذين كانوا غرباء كذلك. بل إنّ أحد حكامهم كان يدعى (يعقوب - هَر)»[٣]. فلمّا لم يكن الهكسوس من الفراعنة كان حكامهم يعرفون بلقب «الملك» مجرداً.

أما كليم الله موسى عليه السلام فعاش - وفقاً لأغلب المصادر الأجنبية المعتمدة - في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي: في «حقبة المملكة الجديدة». تقول «الموسوعة اليهودية العالمية»:

(1) F. F. Bruce et al. Nelson's Illustrated Bible Dictionary (Thomas Nelson Publishers, 1986), p. 324.

(2) The Jewish Encyclopedia (London & New York: Funk & Wagnalls Company, 1916) vol. VII, p. 252.

(3) The Interpreter's Dictionary Of The Bible (Nashville: Abingdon Press, 1996) vol. II, p. 985.

«إن الحقبة التي عاش فيها موسى [عليه السلام] - فيما يبدو - كانت الربع الثالث أو الرابع من القرن الثالث عشر ق. م. . .»[١].

فما علاقة هذه الحقبة من حكم الأسر المصرية بلقب «فرعون» الذي استعمله القرآن الكريم لملك مصر في قصة موسى عليه السلام وخروج بني إسرائيل. يحدثنا عن ذلك «قاموس المتحف البريطاني لمصر القديمة» بقوله:

«فرعون: لقب يستعمله الكُتاب المعاصرون بشكل مطرد للإشارة إلى ملك مصر . . . وكانت تستعمل في أصلها للإشارة إلى القصر الملكي وليس الملك. . وابتداء من «المملكة الجديدة» (١٥٥٠- ١٠٦٩ ق. م) أصبح اللقب مستعملاً للإشارة إلى الملك بنفسه»[٢].

يؤيد هذا قاموس الكتاب المقدس (Nelson's Illustrated Bible Dictionary) بقوله:

«تعني كلمة «فرعه» [فرعون] في اللغة المصرية (البيت العظيم). وكانت هذه الكلمة في أصلها تستعمل لنعت قَصر المَلك. وحوالي ١٥٠٠ ق. م أُطلق هذا الوصف على الملك»[٣].

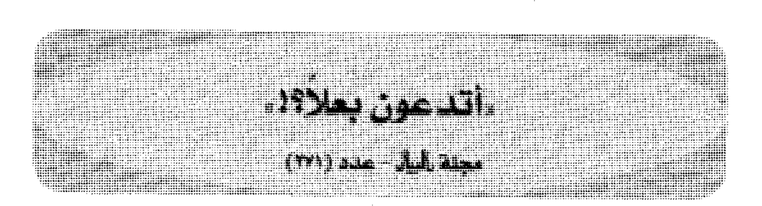
فتبينَ أن «فرعون» لقبٌ لملوك مصر إبان المملكة الجديدة التي عاش أثناءها موسى عليه السلام كما بينتُ آنفاً، وأما من استعمله في زمن الهكسوس الذي

(1) The Universal Jewish Encyclopedia, (New York: Ktav Publishing House, Inc., 1969), p. 4.
(2) I. Shaw & P. Nicholson. British Museum Dictionary of Ancient Egypt (London: British Museum Press, 1995), p. 222.
(3) Nelson>s Illustrated Bible Dictionary, p. 828.

عاش فيه يوسف عليه السلام فقد غلط. ولذا صرح قاموس (The Thames & Hudson Dictionary Of Ancient Egypt) بأن «استعمال (فرعون) لقباً لحكام مصر قبل المملكة الجديدة مفارقةٌ تاريخيةٌ صريحةٌ ينبغي تجنبها»[1].

فإذا علم المسلم هذا أدرك نعمة الله عليه إذ أكرمه بكتاب من عنده لم يجعل له عوجاً، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً. ولذا امتن الله تعالى على نبيه بما أطلعه عليه وقومَه من غيوب ظلّت في سبيل معرفتها الأمم وجاءتنا بيضاء نقية؛ قال تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: ٤٩].

(1) Wilkinson, T. The Thames & Hudson Dictionary of Ancient Egypt (London: Thames & Hudson, 2005), p. 186.



تعود عبادة «بعل» إلى حضارة من أقدم الحضارات في بلاد الرافدين، وهي حضارة السومريين الذين عرفوه باسم «تمُّوز». وأصل هذه العبادة أن الوثنيين منهم لَمَّا رأوا سلطان الشمس على بقية الأجرام وأن شعاعها يُكسِب الحياة دفأها والنباتات نماءها، كان ذلك داعياً لهم إلى عبادتها، لكن الشمس لا تبقى على حال؛ فهي تبدو وتغيب، كما أن سناها لا يلبث أن يخبو في نهاية «يونيو» (الانقلاب الصيفي)؛ ولا يبدأ يستعيد قواه إلا في نهاية «ديسمبر» (الانقلاب الشتوي)، فابتدعوا أسطورة «عشتار» و«بعل».

فعشتار «ملكة السماء» ترسل في منتصف الصيف ابنها وخليلها الإله الشمس «بعلاً» لخلاص الأرض من جدبها، لكن آلهة «العالم السفلي» تحبسه؛ فيندب بعلاً عَبَدَتُه في الشهر الذي يعقب موته (شهر يوليو «تموز») وتنزل الأم «عشتار» لتخلِّصه من أيديهم في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر. وهكذا يعيد «بعلٌ» للأرض زينتها؛ فضعف الشمس هو موت بعل، واستعادتها إشراقها هو ميلاده.

لقيت هذه العبادة رواجاً بين الأمم؛ فامتدت إلى البابليين والفرس والكنعانيين والمصريين، بل حتى العرب؛ فقد عُرف «بعل» بين العرب باسمه. أما عشتار فعُرفت باسم: «عَثتر». ولا يُستبعَد أن تكون الجزيرة العربية منشأ هذه العبادة؛ فاسم «بعل» عربي أصيل بمعنى الرب والمالك كما أن في قصة الهدهد في القرآن الكريم إشارة صريحة إلى شيوع عبادة الشمس في قوم سبأ.

وهنا لطيفة ذكرها بعض العلماء، وهي أن الهدهد لَمَّا كان رزقه متوقفاً على ما يخرجه الله من خبيء الأرض قال: ﴿**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾ [**النمل**: ٢٥]. لكن عُبَّاد «بعل» (الشمس) – كما أشرت آنفاً – كانوا يؤمنون بأنه هو الذي يُخْرِج الخبء في الأرض بعد أن حُبس فيها، فيسحب وراءه خضرة الربيع؛ فهل كان استنكار الهدهد ردّاً على هذا المعتقد؟ الله أعلم.

انتقلت عبادة عشتار وبعل إلى بني إسرائيل من طريق الكنعانيين. «وَغَوَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ أَوْثَانِ الشُّعُوبِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ، ... وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ» [سفر القضاة ٢: ١٠–١٣]. وتقدَّم إلياسُ – عليه السلام – يدعو إلى توحيد الله أمام ملك إسرائيل «أَخْآب» و «أَنْبِيَاء (أي: كهنة) الْبَعْلِ الأَرْبَع مِئَةٍ وَالْخَمْسِينَ، وَأَنْبِيَاء عَشْتَارُوثَ الأَرْبَع مِئَةٍ» [الملوك الأول ١٨]، فكذبوه. قال – تعالى –: ﴿**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾ [**الصافات**: ١٢٣ – ١٢٧].

استمرت عبادة بعل في بني إسرائيل، بل صارت هي العبادة الرسمية في الهيكل الثاني الذي بناه الفرس بفلسطين برعاية من الملك الفارسي المجوسي «كورش» بعد أن دمَّره «بُختنَصَّر». وهكذا أصبح دين اليهود مزيجاً من وثنية

البابليين والكنعانيين ووثنية المجوس؛ حتى إن كهنة الهيكل الثاني أصبحوا يُعرفون باسم: «الفريسيين» أي الفارسيين. وقد انتقلت طقوس عبادة «بعل» إلى بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام في فارس. في وصف هذه الطقوس يقول سفر الملوك الأول: «وَظَلُّوا يَدْعُونَ بِاسْمِ الْبَعْلِ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الظُّهْرِ قَائِلِينَ: «يَابَعْلُ اسْتَجِبْ لَنَا» . . . وَيُمَزِّقُونَ أَجْسَادَهُمْ بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ كَعَادَتِهِمْ، حَتَّى سَالَ مِنْهُمُ الدَّمُ» [الملوك الأول ١٨ : ٢٦-٢٨].

من سدنة الهيكل الفريسيين نشأت اليهودية الحاخامية التي ابتدعت عقيدة القبّالاه القائمة على عبادة الكواكب والتنجيم والسحر. وأصبح «بعل» يسمى «لوسيفر»؛ أي: مانح النور، ثم أصبح هذا الاسم مطابقاً للشيطان. وهذا الترادف بين عبادة الشمس (بعل) وعبادة الشيطان (لوسيفر) يذكّرنا بقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: « . . . فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَمْسِكْ عَنِ الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ»[1]. قال الإمام النووي معلقاً: . . . ، وقيل: القرنان ناحيتا الرأس، وأنه على ظاهره. وهذا هو الأقوى. قالوا: ومعناه: أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات؛ ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة»[2].

ثم من حنادس اليهودية الفريسية (الفارسية) ظهر في القرن الأول الميلادي «شاول الطرسوسي» الباطني الذي تَسمَّى باسم (بولس) وأفسد دين النصارى. كان هذا الرجل فريسي الشريعة، كما قال عن نفسه رُوميَّ الولاء؛ فأدخل عبادة «بعل» بصورة أكثر تعقيداً من صورته البدائية؛ فأصبح «بعل» - الذي أسماه

---

(١) رواه أحمد: (حديث ٦٩٦٦)، ومسلم: (حديث ١٤١٩).

(٢) أبو زكريا النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ)، ٦/ ١١٢ (وَفْقاً لترقيم المكتبة الشاملة).

المخلِّص «يسوع» - يموت فيذهب إلى العالم السفلي ثم يقوم من بين الأموات ليخلِّص البشر من خطاياهم؛ كما كان «بعل» يخلِّص البشر بخلاص زروعهم.
وبهذه الخلفية ينبغي أن يُفهَم كلام يوحنا الذي نَسَبه إلى المسيح - عليه السلام - كذباً وزوراً: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مُوسَى لَمْ يُعْطِكُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا أَبِي هُوَ الَّذِي يُعْطِيكُمُ الآنَ خُبْزَ السَّمَاءِ الْحَقِيقِيَّ، فَخُبْزُ الله هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ» . . . «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِذَا لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلاَ حَيَاةَ لَكُمْ فِي دَاخِلِكُمْ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي، فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي هُوَ الطَّعَامُ الْحَقِيقِيُّ، وَدَمِي هُوَ الشَّرَابُ الْحَقِيقِيُّ» [يوحنا ٦]. وطقس «القربان المقدس» هذا الذي يؤديه النصارى من أَكْل «جسد» المسيح وشُرْب «دمه»، هو ما كان يصنعه عُباد «بعل» عبر القرون.

وفي مستهل القرن الرابع الميلادي ظهر الإمبراطور الرومي قسطنطين الذي كان يعبد «بعلاً» باسم Sol Invictus أي «الشمس التي لا تقهر». فنصر عُبَّاد الصليب الوثنيين وجعل يوم الأحد Sun-day عيداً للنصارى، ومعناه - كما هو ظاهر - «يوم الشمس». وأصبح يوم ميلاد «بعل» (٢٥ ديسمبر) يوم ميلاد المسيح. وفي هذه الحقبة نشأت الكنيسة الكاثوليكية الرومية التي قامت على عبادة الأم (العذراء) والابن الفادي (يسوع)، وإن شئت فقل: «عشتار وبعل»، وعلى نهج قسطنطين يسير باباواتها إلى يومنا هذا. يقول - تعالى - في إشارة إلى هذه العبادة الوثنية: **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾** [المائدة: ١١٦].

إن فَهْم هذا المشترك الوثني بين الباطنيين من يهود ونصارى ومجوس؛ والمتمثلِ في عبادة «بعل» وأمه (أو زوجِه)، يُعَدُّ مفتاحاً لأسرار تنظيماتٍ ومؤسساتٍ وجمعياتٍ لا يخطر بالبال أن ثمة رابطاً عقدياً يربطها. ومعرفة هذه التنظيمات وحقيقتها يجلِّي كثيراً من المؤامرات التي طالما حارت بشأنها العقول فلجأت إلى إنكارها باعتبارها وَهْماً.

«شيخة الجبل» وعَبَدة الشيطان: قصة واقعية

مجلة البيان - عدد (٢٠٢)

أخبرني أحد الفضلاء قال: التقيت صديقي في مركز الدعوة بمدينة « . . . » في إحدى الدول العربية، فحدثني أنه خرج ذات مرة يبحث عن محطة الحافلات، لكنه ضلَّ الطريق فتجاوز المكان الذي توجد فيه المحطة. تلفَّت حوله يلتمس دليلاً، فرأى على مقربة منه رجلاً فسأله عن بغيته، فأجاب الرجل: المحطة ليست بعيدة من هنا. فقال له صديقي: لو بلَّغتَنيها سأوصلك إلى حيث تريد. فأجاب الرجل أنْ نعم، ودلَّه على مكان المحطة. فلما حان وقت الوفاء قال صديقي: أين تريد أن أوصلك؟ فأجاب الرجل: إني أسكن في منطقة كذا. أخذ صديقي الرجل في سيارته حتى أوصله إلى المنطقة التي فيها داره، وكانت منطقة جميلة تستتر بين الجبال، تزينها شلالات مائية، ويأتيها الزائرون من كل حدب وصوب للاستجمام.

كان الرجل الذي دلَّ صديقي من عامة الناس، بسيط الهيئة، قد امتهن حرفة الرسم، فيرسم الطبيعة من حوله ثم يبيع لوحاته للزوار والسياح. وأما داره فكانت متواضعة جداً، بيت من حجر لا تكاد تستبينه عن الصخور التي تحيط به.

طلب الرجل من صديقي التفضل بالدخول ففعل. هنا فغر صديقي فاه، ولم يتمالك نفسه مما رأى من الطراز المهيب الذي شيد به البيت من الداخل، فهو طراز لا يتأتى لواحد من سِطَة الناس!

سأله صديقي في دهشة: أنَّى لك هذه الدار؟ فأجاب الرجل: إن لها قصة.

أخذ الرجل يسرد قصته قائلاً إنه بينما كان يرسم عند أحد الشلالات ذات يوم كعادته، إذ أقبلت إليه امرأة شقراء بلجيكية فسألته عن حاله وعمله وأبدت اهتماماً بأمره وأصبحت تزوره أحياناً في بيته الحجري. حتى إذا اطمأنت له اقترحت عليه اقتراحاً غريباً! قالت له ذات يوم: هل لك في أن أصلح هذه الدار على أن أسكن فيها شهرين من كل عام لا أراك فيهما؟ قال نعم. ثم إنها اقترحت عليه الزواج، وأخبرته أنها تحمل الجنسية الإسرائيلية، فإذا تزوجها سيحصل على الجواز الإسرائيلي، فرفض الرجل وأوجس في نفسه خيفة.

تملَّك الفضول صاحب الدار، فبدا له أن يراقبها من مكان بعيد ليعرف سر هذين الشهرين من العام اللذين يُحرَم فيهما من دخول داره بل من رؤيتها. فكان مما رأى أنها تستيقظ قبيل طلوع الشمس، ثم تجلس على صخرة في الجبل تستقبل الشمس عند بزوغها، وتبقى على حالها تلك بلا أكل ولا شرب حتى الثانية عشرة ظهراً، ثم تنزل، وتفعل ذلك عند الغروب أيضاً.

استمر صاحب الدار في مراقبة هذه المرأة فوجد أنها تجند الشباب ذكوراً وإناثاً فتأتي بهم إلى تلك الدار، فيعيشون حياة غريبة: عهر وعربدة وموسيقى؛ يأكلون الحشرات والهوام، ويفعلون ما يفعلون بالدماء والنجاسات، بل لا يقلمون أظافرهم، ولا يتطهرون من بولهم ونجوهم.

لكن صاحبي لم يصدق ما حُكي له من أمر الدار، غير أنه أحس أن ثمة شيئاً غير سوي، فالدار من طراز رفيع جداً لا يستطيعه إلا علية القوم.

قفل صاحبي راجعاً إلى منزله يحمل جبالاً من الشكوك والحيرة. وبينما هو يشق طريقه بين الجبال إذ عرض له شابان يطلبان الركوب كانا يحملان قيثارة وأشياء أخر. بمجرد دخول الشابين السيارة انبعثت منهما رائحة خبيثة نتنة. صُدم صاحبي مما وجد. سألهما: أين كنتما؟ فقالا: كنا في الـ «بارادايس» (أي «الفردوس»). تأكد صديقي من صحة ما رواه صاحب الدار. سألهما: وماذا تأكلان؟ وأين هي أمتعتكما؟ فأجابا: كل شيء هناك! وعرف منهما أن المطلوب منهما تجنيد شباب آخرين وكتمان هذا الأمر والعودة السنة المقبلة.

قال صديقي: ولما سافرت إلى إحدى المدن مع أهلي لقيت أحدهما فقلت لزوجتي: هذا واحد من الاثنين اللذين كلمتكِ عنهما. فذهب إليه ليُذكِّره فلم يعرفه، فلما قال له: أنا الذي أحضرتكما من الشلال، فزع الشاب الآخر وولى هارباً.

هذه قصة واقعية رويت لي، وتحدثت إلى صاحبها طلباً لعلو السند. ولي معها وقفات:

الوقفة الأولى: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان»[1]. قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث»: «وإنما أُمرنا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

بترك الصلاة مع طلوع الشمس لأنه الوقت الذي كان فيه عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس. وقد درج كثير من الأمم السالفة على عبادة الشمس والسجود لها، فمن ذلك ما قص الله تبارك وتعالى علينا في نبأ ملكة سبأ أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام إني ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]. وكان في العرب قوم يعبدون الشمس ويعظمونها ويسمونها «الإلاهة». قال الأعشى:

فلم أذكر الرهب حتى انفتلت
قبيل الإلاهة منها قريباً

يعني الشمس. وكان بعض القراء يقرأ (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وإلَهتك) يريد ويذرك والشمس التي تعبد. فكره لنا رسول الله ﷺ أن نصلي في الوقت الذي يسجد فيه عبدة الشمس للشمس، وأعلمنا أن الشياطين حينئذ أو أن إبليس في ذلك الوقت؛ في جهة مطلع الشمس، فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ويؤمونه»[(١)].

وفي هذا بيان أن ما انتشر من عبادة الشيطان في بعض بلاد الإسلام لا يختلف مطلقاً عن عبادة الشمس التي انتشرت بين الأمم الباطنية الوثنية كالبابليين والإغريق والروم وغيرهم. وهذا سر صلاة المرأة الباطنية أعلاه عند شروق الشمس وعند غروبها، فإن الشمس حينئذ تكون بين قرني شيطان.

الوقفة الثانية: أن عبادة الشيطان في بلاد الإسلام لم تأتِ وليدة الصدفة، بل

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث (بيروت: دار الجيل، ١٣٩٣ هـ)، ص ١٢٥.

هي مؤامرة عالمية ضد أهل الإيمان تدعمها دول الغرب الصليبية والصهيونية على حد سواء، إذ يشترك أولئك في العبادة ذاتها باسم القبالاة والماسونية وحركة العصر الجديد . . . وغيرها من الحركات والمذاهب الباطنية التي فصّلت الحديث عنها في غير هذا الموضع. وهذه المرأة القبالية لا تعمل بمفردها، بل هي جزء من أجندة عالمية لنشر الفكر الباطني في بلاد الإسلام، وتتلقى في سبيل ذلك دعماً سخياً، ولذا لم يحتج من جُنِّد من قِبَلها إلى طعام أو كساء فـ «كل شيء هناك»! وما الأيكة البوهيمية إلا مثال على انتشار هذه العبادة حتى بين النخب.

الوقفة الثالثة: طقوس الباطنيين أشبه ما تكون بعمل السحرة، بل ممارسة السحر جزء من الطقوس الباطنية؛ ولذا تجد من السحرة من لا يتطهر من نجاساته الأيام الطوال، ومنهم من لا يقص أظافره، ومنهم من يواقع من لا يحل له، ومنهم من يتقرب بالذبح وسفك الدماء، وهذا عين ما يصنعه الباطنيون عبدة الشمس (أو الشيطان) في خلواتهم، وهو سر الرائحة الخبيثة التي وجدها صاحب القصة من الشابين اللذين ركبا معه.

الوقفة الرابعة: تذكرنا هذه القصة بشيخ الجبل الحسن بن الصباح، زعيم الحشاشين، الفرقة الإسماعيلية الباطنية الشهيرة. فقد كان يقطن قلعة «ألَموت» بفارس، في منطقة جبلية وعرة المسالك، وكان يستدرج بعض الناس إلى قلعته، ويدخلهم إليها، ويقنعهم بأنهم الآن في الجنة، ويريهم أنهاراً من لبن وخمر تجري في أخاديد، وعازفات وفواكه شتى، ويعِدهم حياة الجنان المزعومة؛ مقابل أن يأتمروا بأمره. وفي هذه القصة أن الشابين أسميا البقعة التي يجتمعون فيها «بارادايس»، أي الجنة أو الفردوس، تشابهت قلوبهم!

أخيراً: ظهرت في الآونة الأخيرة «صيحات» قد لا تصرّح بعبادة الشيطان، لكنها بلا ريب تنحو نحوها، منها: تيارات «الإيمو» و«القوط» وبعض ممارسات البرمجة اللغوية العصبية، ففيها من بذور الوثنية ما لا ينكره إلا جاهل بحقيقتها أو مكابر. فينبغي للمرء أن يحتاط لدينه وأن يبتعد عن سبل الشيطان، فالمعركة بين حزب الله وحزب الشيطان باقية إلى قيام الساعة، جعلنا الله من حزبه المفلحين.

الحكمة الخالدة وحقيقة المشترك الإنساني

مجلة البيان - عدد (٣٠١)

الحكمة الخالدة فلسفةٌ باطنيةٌ تذهب إلى أن كل التقاليد الدينية على مرّ العصور مظاهر مختلفة لحقيقة واحدة، وأن المعارف الدينية على اختلافها مستمدَّةٌ من جوهر واحد أو «دينٍ خالد» Religio Perennis؛ فكل الأديان، بغضّ النظر عن سياقها الثقافي أو التاريخي، مجرد تفاسير أخرى لهذه الحقيقة الكلية المشتركة، كما أن اختلاف الكتب المقدسة لهذه الأديان وتعارضها، مردُّه إلى أن كل دين صيغ بشكل مختلف ليتناسب مع الاحتياجات الاجتماعية والعقلية والروحية للعصر الذي ظهر فيه، ما يجعل اختلافات الأديان عند أتباع هذه الفلسفة بمنزلة قشور (ظاهر) يمكن أن تنحى للوصول إلى اللباب (الباطن).

أول من ابتدع عبارة «الحكمة الخالدة» أو «الفلسفة الخالدة» الكاثوليكي الأفلاطوني «أغوسطينو ستيوكو»، وكان أميناً لمكتبة الفاتيكان، وألف كتاباً بعنوان «في الفلسفة الخالدة» عام ١٥٤٠م وأهداه للبابا بولس الثالث. وقد اكتسب هذا المصطلح شيوعه في العصر الحديث بعد صدور كتاب الفيلسوف ألدوس هَكسْلي

عام ١٩٤٥م بعنوان «الفلسفة الخالدة» The Perennial Philosophy. وأشهر المدارس الفكرية القائمة على هذه الفلسفة الباطنية «المدرسة الإرثوية» التي تمثلها كتابات كثير من مفكري القرن العشرين من أمثال رينيه جينو، ومارتن لينجز، والإيراني سيد حسين نصر.

سُميت المدرسة الإرثوية Traditionalism بهذا الاسم نسبة إلى ما تدَّعيه من وجود «إرث» مشترك بين جميع الأديان، الهندوسية والبوذية واليهودية والنصرانية والإسلام.. وغيرها، هذا الإرث المشترك أشبه ما يكون بمركز الدائرة، وكل الأديان تقف على محيطها، بينما يصلها في المركز نصف القطر الذي يعبِّر عن منهجها الخاص الذي به تبلغ المركز. فالمسلم – عند هؤلاء – ليس أسعد حظاً بالحق من الهندوسي عابد البقر، فكلا الدينَين تعبير عن الحقيقة الكلية عينها.

تعود أفكار المدرسة الإرثوية إلى الفيلسوف الفرنسي الباطني «رينيه جينو» René Guénon الذي ولد في فرنسا عام ١٨٨٦م ونشأ في بيئة كاثوليكية متدينة، وتربى على يد التنظيم اليسوعي. في عام ١٩٠٩م أسَّس جينو مجلة «الغنوص» أو «العرفان» La Gnose الباطنية. وفي عام ١٩١١م اعتنق الطريقة الشاذلية على يد الباطني السويدي الماسوني «إيفان أجويلي» Ivan Aguéli أو «الشيخ عبد الهادي عقيلي» كما كان يُدعى، وهو من المنافحين عن ابن عربي الصوفي. بعدها بعام واحد تلقى «جينو» الطقوس الماسونية لينتمي إلى محفل Thébah التابع للمحفل الماسوني الفرنسي الأعظم. وفي عام ١٩٢٤م ألَّف كتابه «الشرق والغرب» الذي دعا فيه إلى إنقاذ العالم الغربي عن طريق إحياء الباطنية الهندوسية[1].

---

(1) Mark Sedgwick, Against the Modern World (Oxford University Press, 2004), pp.

في عام ١٩٣٠م انتقل «جينو» إلى القاهرة وهناك تزوج من ابنة أحد شيوخ الصوفية وأصبح يُعرف بـ«عبد الأحد يحيى»، لكنه بعد ذلك أسَّس مع بعض رفاقه محفلاً ماسونياً في فرنسا يحمل اسم أحد كتبه «الثالوث العظيم» La Grande Triade، وهو كتاب يبحث في كيفية الدخول في الطقوس الماسونية[١].. توفي «جينو» عام ١٩٥١م ليصبح عند بعضهم عَلماً من أعلام الإسلام!

من أشهر تلاميذ «جينو» الباطنيُّ السويسري المتهتك «فريتيوف شوان»، الذي التحق بالطريقة العليوية وشيخها «أحمد بن عليوة» المعروف بسوء أدبه مع النبي ﷺ وشطحاته الحلولية. ولما مات شيخه غلبت عليه نزعته النصرانية، فأسَّس الطريقة المريمية نسبة إلى مريم عليها السلام بعد أن رأى - قبَّحه الله - رؤى لا يليق ذكرها. وأتباع هذه الطريقة ليسوا من المسلمين فحسب، بل من اليهود والنصارى والهندوس.. وغيرهم.

تتلمذ على يد هذا الزنديقِ الكاتبُ الإنجليزي «مارتن لينجز» صاحب الكتاب الشهير «حياة محمد ﷺ وفقاً للمصادر القديمة». يقول هذا المريمي في كتابه «الساعة الحادية عشرة»: (مملكة السماء في داخلك. هذه الحقيقة هي أساس الباطنية، علم ودراسة الباطن، وهمة الباطني تتجاوز الخلاص إلى التقديس، الذي هو في أسمى معانيه تأليه، أي الاتحاد (أو «اليوجا» عند الهندوس) بالكمال المطلق للذات الإلهية. إن فناء النسبة كلِّها هو «نيرفانا» البوذية؛ وفي التصوف الإسلامي القول بأن «الصوفي غير مخلوق» يشهد للحقيقة المطلقة ذاتها)[٢].

---

(1) Against the Modern World, p. 121.
(2) Martin Lings, The Eleventh Hour, 10.

ويقول في موضع آخر: «لكن الحقيقة تفرض نفسها، فلا شيء دون عقيدة الـ «سمسارا»[1] الكاملة قادرٌ على تقديم مفهوم للكون يفي بمطالب العاقل المتدبر باعتبارها أساساً رمزياً للتأمل في الإلهي المطلق»[2]. وكأنه لم يقرأ قول المولى جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]. أما أغناه ذلك حتى جاءنا بوثنية الهنادكة والبوذيين يقدمها على وحي رب العالمين؟!

هذا غيض مما قاله هذا الرجل الذي هو عند كثير من المسلمين من أعلام الدعوة في بريطانيا، ناهيك عن الطوام التي أوردها في كتابه «حياة محمد ﷺ»، وليس هذا موضع بسطها؛ وإنما أردت أن أحذر من فكره الذي استقاه من شيخه الكاثوليكي الباطني «فريتيوف شوان» ومن ضُلّال الطرق الصوفية.

هذه الوثنية التي يدعونها «حقيقة» هي الدين الخالد عند أتباع الحركة الإرثوية، والوصول إليها يكون من أي طريق، سواء كان بتأملات البوذيين أو بـ «يوجا» الهنادكة أو بطقوس الماسون. وهو مذهب يطوف بالحلول والاتحاد، ويتجاوز عند كثير منهم إلى تناسخ الأرواح، فلا غرو أن يكون ابن عربي صاحب الفصوص من أئمتهم.

ومن مشاهير أتباع المدرسة الإرثوية «روجيه جارودي» الذي أبدى حماسه الشديد لكتابات «جينو» في حوار مع الفيلسوف «آلان دي بينوا»[3]. ومحاولاته

(١) سمسارا: هي عقيدة شرقية تقول بالميلاد المتكرر وتناسخ الأرواح.
(2) Martin Lings, The Eleventh Hour, 27, 28.
(3) Against the Modern World, p. 337.

لتوحيد الأديـان وصهرها في قالب «الأديـان الإبراهيمية» أشهر من أن تذكر. وقد وصفه الشيخ بكر أبو زيد في كتابه «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» بقوله «النصراني المتلصص إلى الإسلام»[1]. يؤيد هذا ما ذهب إليه الكاتب السياسي الأمريكي «روبرت دريفوس» في كتابه «رهينة الخميني» (ص ٢١١ - ٢١٢)، إذ يقول: «المنظِّر الفرنسي ذو الارتباط اليسوعي «روجيه جارودي» . . . شخصية مهمة في عمليات المخابرات البريطانية . . . وهو منظر سابق للحزب الشيوعي، اعتنق الكاثوليكية الرومية من خلال تأثير «بير ليبريه» Père Lebret اليسوعي المختص في [كيفية] الإبقاء على البناء الاجتماعي الإفريقي على أساس من السحر القَبَلي»[2].

لكن كتابات جـارودي رغـم شهرتها، لم تعد فاعلة كما كانت في القرن العشرين، بيد أن شخصية بارزة تقوم بالدور ذاته بصورة ألطف بعض الشيء، ألا وهي الكاتبة الإنجليزية «كارين آرمسترونج». «كارين آرمسترونج» واحدة من أخطر الكتَّاب الذين يسعون إلى توحيد الأديان بناءً على عقيدة الإرثوية أو الدين الخالد. والفرق بينها وبين من سبق ممن ذكرت هو أنها لم تعتنق الإسلام كما صنعوا، لكنها تظهر في المؤتمرات والوثائقيات وكأنها تمثل أهل الإسلام، حتى ظن بعض البسطاء أنها قاب قوسين أو أدنى من دخوله، علماً أنها راهبة كاثوليكية سابقة في «جمعية الطفل المقدس يسوع» اليسوعية، تخلت عن الكاثوليكية - على حدِّ زعمها - لكنها لم تعتنق ديناً بعدها.

أما فكرها الإرثوي فبيِّنٌ لمن قرأ كتابها «The Case for God»، فهي تزعم

---

(١) بكر أبو زيد، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص ٢٠.

(2) Robert Dreyfuss, Hostage to Khomeini, pp. 211, 212.

فيه أن البشر لم يكونوا يعبدون إلهاً موصوفاً بصفات، وإنما كانوا يعبدون وجوداً مطلقاً فلما ظهر الآريون في الهند في القرن العاشر قبل الميلاد عبَّروا عن هذا المعبود باسم «براهمن»، الوجود المطلق[1]؛ ولم يتحول هذا الفكر الأصيل إلا بظهور «اليهودية»؛ وكأن القول بأن الله - تعالى عما يقولون - مجرد وجود مطلق هو الأصل وما سواه عارض، ولذا فهي تمجِّد غلاة الصوفية بقولها: «إن الفرع الباطني من الإسلام، أعني الصوفية، حرص دائماً على القول بأنك عندما تكون في حضرة الله فأنت لست بيهودي ولا نصراني ولا مسلم، ولا يضيرك أكنت في بيعَة أم مسجد أم هيكل أم كنيسة؛ فكل الأديان المهدية إنما تأتي من الله، فإذا أبصر المتأله الإله، نبذ هذه الفروق التي صنعها البشر وراء ظهره»[2].

وأما عن موقفها من الإسلام فهو كموقف غيرها من المستشرقين، فهي تقول في كتابها «تاريخ الرب» - الذي ترجم إلى العربية تحت عنوان «الله والإنسان» - بعد حديثها عن ذكر القرآن لأنبياء بني إسرائيل: «إن المسلمين اليوم يصرون على أن محمداً ﷺ لو كان يعلم عن الهندوس والبوذيين لأضاف [قصص] زعمائهم»[3]، فهي لم تكتفِ بزعمها أن القرآن من تأليف النبي ﷺ، بل جعلت كفرة الباطنيين من زعماء الهندوس والبوذيين في مقام الأنبياء والمرسلين. وتقول في موضع آخر: «من لطفاء اليهود في المدينة، تعلم محمد ﷺ قصة إسماعيل»[4]. ولا أدري من أيهما أعجب: من لطف اليهود أم من تعليمهم سيد البشر ﷺ؟

(1) Karen Armstrong, The Case for God (Vintage, 2010), p. 21.

(٢) في حوار أجراه معها الصحفي الأمريكي «بِل مويَرز» تجده على هذا الرابط:
http://www.pbs.org/now/transcript/transcript_armstrong.html.

(3) Karen Armstrong, A History of God (Vintage, 1999), p. 178.

(4) A History of God, p. 180.

وقد طرحت هذه الكاتبة مبادرة عالمية أسمتها «ميثاق التراحم» Charter for Compassion تستهلها بقولها: «يقع مبدأ التراحم في صميم ما توارثه البشر من تقاليد دينية وأخلاقية وروحية». فهي تسعى إلى توحيد الأديان عن طريق ما يسمى «المشترك الإنساني» الذي لا يعدو كونه ذريعةً لمروِّجي عقيدة الفلسفة الخالدة. مثل هذا ترجمتهم لـ «كلمةٍ سواء» الواردة في سورة آل عمران (٦٤) بـ Common Word وتعني «كلمة مشتركة»؛ مع أن المعنى المقصود في الآية كلمة عَدل هي البراءة من الشرك.

وقد رأيت مؤخراً كتاباً متهافتاً لأحد المنتسبين إلى العربية يزعم فيه أن «براهما» إله الهندوس هو في الحقيقة «إبراهيم» عليه السلام؛ بل أسفار الـ «فيدا» الهندوسية هي صحف إبراهيم عليه السلام، ليبرر بذلك مصطلح «الأديان الإبراهيمية» الباطل. وهو لم يأتِ بهذا القول من تلقاء نفسه، إنما استقاه من بعض الكتاب الغربيين، لكنه بقصد أو بغير قصد لم يبتعد كثيراً عن مذهب «رينيه جينو» الذي رأى في الهندوسية منبعَ الدين الخالد الذي هو بزعمه مَعِين الأديان.

ختاماً؛ أردت من هذه النبذة الوجيزة أن أبصِّر المسلمين من دعاة وطلاب علم ومفكرين ببعض العقائد الباطنية التي يُروَّج لها بغير اسمها، وبعض الشخصيات التي أُعليت وحقها السُّفل، وهو موضوع غاية في الأهمية ينبغي لطلاب العلم أن يطرقوه فيبيِّنوا ما فيه من باطل؛ حفظاً لجناب التوحيد، وفضحاً لمن حارب الله ورسوله ﷺ.

سِوار الوَهَن

مجلة البيان - عدد (٢٦٩)

بينما كنت أُزوِّر كلماتٍ أستهِلُّ بها زاويتي بالمجلة، إذ دعاني أحد الإخوة إلى مكتبه ليريني شيئاً مقلقاً هذه المرة، بعد أن كان نَحَلني نسخة من كتاب «هركولوبوس أو الكوكب الأحمر» لـ «ف. م. رابولو». أدخل صاحبي يده في درج مكتبه وأخرج صندوقاً صغيراً. ناولني الصندوق قائلاً: «شاع هذا بين الشباب، فأحببت أن أُطلعك عليه؛ ولنتحدث حوله في الأسبوع القادم إن شاء الله».

خالجني شعور غريب عندما قلَّبت محتوى الصندوق الذي بدا مألوفاً جداً. كان الصندوق يحوي سواراً وعِقداً صُنعا من أنبوب مطاطي تصل طرفيه قطعةٌ معدنية. كُتِب على الصندوق بالإنجليزية «Energy Ring»؛ أي: «سِوار «أو حلقة» الطاقة»، وفيه نشرة تؤكد على أن السوار والعِقد يحويان «مواد طبيعية»، «تلك المواد لها خواص غامضة؛ حيث إنها تستطيع امتصاصَ الطاقة الطبيعية وتكديسَها وتكثيفَها ثم إعادة بثِّها مضاعفة مئات المرات»؛ فما حقيقة هذا السوار؟

إن الدارس للعقائد الباطنية يجد أن «سوار الطاقة» المعروفَ منذ القِدَم، يقوم على مبدأ وثني يزعم أن كل شيء في الوجود - بما في ذلك الإنسان - تنساب فيه «قوة خفية» تدعى باللاتينية: «نومن» Numen. وأن هذه القوة أو الطاقة ذات ارتباط بالآلهة التي هي الجن في الحقيقة؛ فمن استطاع أن يحرك تلك القوى الخفية استطاع أن يتحكم في العالم المادي المرئي بشكل يُحصِّل له أعلى قَدْر من النفع. وهذا المعتقَد الباطني أصلٌ عند القائلين بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح.

فإذا نظرنا إلى الهندوسية - مثلاً - وجدناها تعتقد وجود «طاقة كونية» تسمى «برانا» Prana تنساب في الهواء الذي نستنشقه. ولهذا نجد جُل ممارسات ما يعرف بـ«اليوجا» Yoga يعتمد على هذا المبدأ؛ فهذه الممارسات - كما يزعم أصحابها - تركِّز هذه الطاقة المنتشرة في الهواء لتوزعها في الجسد؛ فـ«اليوجا» ليست مجرد ممارسات رياضية لزيادة مرونة الجسم، بل هي معتقَد يَسعى «اليوجيُّ» من خلاله إلى «الاتحاد» مع الإله؛ ولذا فإن الأوضاع المختلفة التي يتخذها تسمى بأسماء الآلهة. ويشترك مع الهندوس في هذه الطقوس البوذيون والجَينيون[1].

هذا المبدأ الذي تقوم عليه تلك الطقوس هو عين ما يعتمده مُروِّجو «سوار الطاقة» ذي «الخواص الغامضة» التي تستطيع «امتصاص الطاقة الطبيعية وتكديسها وتكثيفها ثم إعادة بثِّها مضاعفة مئات المرات». ولهذا نص أحد المواقع الإلكترونية التي تبيع مجوهرات الطاقة على أن سوار الطاقة - بالتحديد - يوظِّف مبدأ «التقاء الطبيعة بما وراء الطبيعة» وأنه يُستخدَم من قِبَل حكماء «الريكي» Reiki وحكماء

(1) Tigunait, Rajmani. Seven Systems of Indian Philosophy, (Honesdale, Pennsylvania: Himalayan Institute Press, 1983), p. 171.

«الشكرات» Chakra[١]، وكلتاهما من الممارسات الباطنية الشرقية التي تعتمد مبدأ الطاقة الخفية في «الأثير» وأن للإنسان المادي المحسوس «توأماً روحياً» في الفضاء؛ فمتى أمكن الوصول إلى ذلك التوأم الروحي عن طريق الطقوس الباطنية وبعض الطلاسم انعكس ذلك على طاقة الجسد المادي، فشعر بالخفة. وقد لقيَتْ هذه الترهات رواجاً في بلاد الغرب[٢].

وهناك ممارسة رائجة أخرى تُعرَف بـ: «كُنداليني» Kundalini وتقوم على مبدأ مماثل، هو: أن العمود الفِقْري للإنسان يحوي طاقة كامنة تمتد من عَجْبِ الذَّنَب إلى أعلى الرقبة. فإذا تخللت الـ «برانا» المنتشرة في الهواءِ العمودَ الفِقْري عن طريق بعض الممارسات الباطنية نهضت عند المرء «كُنداليني» - التي هي «إلاهة، أفعى» تلتف في قاع العمود الفِقْري، ممتدة إلى أعلى الرقبة فيشعر المرء بنشوة و «استنارة»[٣].

لقد بدأت الدعوة إلى الباطنية والسحر باسم الطاقةِ وتحريكِ كوامنها تأخذ أشكالاً عدة، لعل شكلاً منها يرُوج بين أهل الإسلام، فيصابون في مقتل. من هذه الأشكال ما شاع بين الناس من خبر «الكوكب الأحمر» الذي «يوشك» أن يصطدم بالأرض! وكان سبب هذا الإرجاف المؤلِّف الباطني: «ف. م. رابولو» وكتابه «هركولوبوس أو الكوكب الأحمر» الذي وُزِّع مجاناً بلغات شتى.

(1) http://www.energy-ring.com/
(2) Leadbeater, C.W. The Chakras (Wheaton, Illinois: Theosophical Publishing House, 1926), p. 1.
(3) Krishna , Gopi & James Hillman. Kundalini: The Evolutionary Energy in Man (Taylor & Francis, 1971), p. 98.

يزعم «رابولو» في كتابه أن كوكباً أحمر يُدعى «هركولوبوس» يوشك أن يصطدم بالأرض، وأنه لا ملجأ من هذه القارعة إلا ما يسميه: «الكشف أو «الإسقاط» النجمي» Astral Unfolding (Projection) الذي يرتكز حول «الجسد النجمي» في «البعد الخامس»؛ حيث القوى الباطنية الخفية التي بـ «الإمكان إخضاعها للقوى البشرية». ثم يعرِّف هذا «الجسد النجمي» بأنه: «جسد شبيه تماماً بالجسد المادي، ولكنه مصنوع من الطاقة وهو يسير بسرعة هائلة كما تسير الفكرة»[1]. ولممارسة «الإسقاط النجمي» والخلاص من تلك القارعة يمكنك ربط جسدك المادي بالجسد النجمي المصنوع من الطاقة ومن ثَمَّ بالقوى الخفية «الجن والشياطين» في «البعد الخامس» عن طريق ترديد بعض «الكلمات السحرية، ومتى شعرتَ بأن تياراً يسري في جسدك كله من أخمص قدميك حتى قمة رأسك، فانهض واقفز إلى أعلى قليلاً وسترتفع في الحال»[2]. وهو كما ترى شعوذة تدور حول مبدإ الطاقة الخفية والتوأم الروحي.

إن مثل هذه الشعوذات التي تدَّعي حبس الطاقة وبثَّها في الجسم البشري، ينبغي ألا تجد طريقها إلى قلوب أهل التوحيد، كما ينبغي أن ينبَّه لخطرها الآباء والأمهات على وجه الخصوص؛ فنحن نرى أشكالاً مختلفة لها فيما يُعرض للأطفال في الرسوم المتحركة من قيام البطل - مثلاً - برفع يده ذات السوار فتتركز حوله أطياف النور الأخَّاذة الباهرة ويُشع سواره بالطاقة التي اكتسبها من الطبيعة، وبذا يصبح قادراً على سحق خصمه، بل لقد رأيت بعض الشخصيات الكرتونية

---

(١) فكرتا: «الجسد النجمي» و«التوأم الروحي» شبيهتان بنظرية «المُثُل» عند أفلاطون، والتي تذهب إلى أن المحسوسات مجرد ظِلال للحقائق الأسمى المجردة التي لا نحسها.

(٢) . م. رابولو. هركولوبوس أو الكوكب الأحمر (A. Prats Publishers)، ص ٤٥، ٤٦.

تطلب من الطفل المشاهد أن يركض معها ليُكسِب سوارها مزيداً من «الطاقة»!

ولما تصفَّحت بعض مواقع الإنترنت التي تروِّج لمثل هذه الزندقة وجدت الكثير منها يبيع أَسورة الطاقة وقلائدها جنباً إلى جنب مع الطلاسم والتمائم، بل إن منها ما يُصرِّح بأنها تُحصِّن حاملها من الشرور وتمنحه قوة سحرية. ولعل هذه الصراحة هي ما دعا المتربصين بالإسلام إلى أن يستبدلوا بـ «سوار الطاقة» سواراً آخر عَلَّه يكون أكثر رواجاً، فظهر ما يعرف بسوار «ابن سينا» الطبي، ولا أدري لِمَ اختير «ابن سينا» ليكون «علامة تجارية»؟ أَلأنه كان طبيباً؟ أم لأنه كان باطنياً؟

يكاد «سوار ابن سينا» يطابق في شكله ومضمونه السوار النحاسي Copper Bracelet الذي تسوِّقه مواقع الـ «أيورفيدا»[1] والـ «يوجا» الهندوسية[2]. كما أنه شبيه بما يُعرف في القبالاه (الباطنيةِ اليهودية) باسم «سوار القبالاه» The Kabbalah Bracelet. ولا شك عند المختصين أن كليهما من قبيل الشعوذة باسم «الطب البديل»؛ فها هو أحد المتاجر الإلكترونية يصف أحد أسورته بأنه «يساعد على التواصل مع الإله ويربط الفردَ بالفيض الروحي الذي ينساب في الحقيقة حولنا»[3]. وهذا «الفيض الروحي غير المتناهي» من حولنا هو ما يحاول البعض تزويقه باسم الطاقة المنسابة في الطبيعة. ولسوار القبالاه - خاصةً - انتشاره بين «نجوم» الرياضة و«الفن».

---

(١) أيورفيدا (Ayurveda): هو الطب البديل المبني على عقائد الهندوسية.

(2) http://ayurvedayogashop.com/ayurvedic-magnetic-copper-bangle-p-591.html

(3) http://www.hibuki.com/servlet/the-106/72-Names-Kabbalah-Bracelet/Detail

إن وراء هذا الترويج للوثنية والسحر حركةً عالميةً تُعرَف بـ: «حركة العصر الجديد» New Age Movement أو: «الوثنية المُحدَثة» Neo - Paganism تسعى إلى إحياءِ المِلَل الباطنية والقضاء على توحيد الله، عز وجل. وقد آلمني أن زلَّت في هذا المقام أقدام بعض المسلمين فنعتوا «سوارَ الطاقة» بالفاعلية، بل توهم بعضهم أنه آنَسَ خفة وارتياحاً منذ أن لبسه بسبب ما يحويه من «مواد طبيعية»! ولم أكن أظن أن شاباً مسلماً في بلاد التوحيد يعود ليتعلق حلقةً من صُفْر[1] يستجلب بها «الطاقة» ويدفع بها الوهـن؟ «انزعـها! فإنهـا لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً»[2].

(١) الصُّفْر: النحاس الجيد، لسان العرب مادة: صَفَرَ.

(٢) أخرجه أحمد: ٤/ ٤٤٥، وابن حبان: ٧/ ٦٢٨، والحاكم: ٤/ ٢١٦.

اليسوعية وإمبراطورية الروم الخفية

مجلة البيان - عدد (٢٣٢)

في الخامس عشر من عام ١٥٣٤م وفي دَير «مونتمارتر» بباريس تقاسم رهط من الروم على محاربة الإسلام يقودهم قديس إسباني أعرج يدعى «إغناطيوس دي لويولا». أخذ هذا القديس على أتباعه النذور الثلاثة التي كان يؤديها الفرسان الصليبيون: نذور الفقر، والتبتل، والطاعة، وأضاف إليها النذر الرابع الذي تشمئز منه نفوس الأسوياء. ثم توجه إلى البابا بولس الثالث الذي أعلن اعتماد الكنيسة الكاثوليكية هذا التنظيم الإغناطي الذي يعرف باليسوعية أو «جمعية يسوع» عام ١٥٤٠م. أما النذر الرابع فصار عمدة كثير من الجماعات الباطنية السرية التي انبثقت عن الكنيسة الكاثوليكية في ما بعد.

أخذ اليسوعيون على عواتقهم استعادة أمجاد الكنيسة الرومية، ودخلوا في معارك رهيبةٍ ضد من يخالفهم من البروتستانت في أوروبا. ولما حاولوا عام ١٦٨٨م أن يُجلسوا على عرش إنجلترا البروتستانتية عميلهم الكاثوليكي «جيمس الثاني» ثار الإنجليز البروتستانت عليه في ما عُرف بالثورة المجيدة فألقى صولجانه في نهر التيمز

وفرَّ إلى فرنسا. هناك في كلية «كليرمون» اليسوعية استطاع اليسوعيون بالتعاون مع عائلة ستيوارت الكاثوليكية (التي ينحدر منها بوش وعائلته) أن يؤسسوا الطقس[1] الاسكتلندي الذي هو العمود الفِقْري للماسونية، وهكذا أصبح هدف الماسونية هو تحقيق مصالح البابوية؛ بما فيها استعادة القدس من أيدي المسلمين بعد أن كان مقرَّ فرسان الهيكل في أثناء الحروب الصليبية. وهذا ما أثبته العلاَّمة الماسوني «جوهان يواقيم كريستوف بود»، كما نقل عنه الماسوني «ألبرت ماكي» قولَه:

«إن التنظيم [الماسوني] اختُرع من قِبَل اليسوعيين في القرن السابع عشر كوسيلة لإعادة الكنيسة الرومية في إنجلترا، ودثَّروها لتحقيق أغراضهم بدثار الهيكلية [عقيدة فرسان الهيكل]»[2].

وكان عميل اليسوعية «رامزي» الذي اخترع الطقس الاسكتلندي يَعُد الماسونية استمراراً لتراث فرسان الهيكل الصليبيين، وهو ما ذكره كثير من الكُتاب الأعلام، منهم «نِستا وِبستر» في كتابها: «الجماعات السرية والحركات الهدامة» نقلاً عن الماسوني «بارون تشودي»:

أن الأصل الصليبي للماسونية هو ما يُدرَّس رسمياً في المحافل؛ حيث يُعلَّم المرشح لدخول التنظيم أن العديد من الفرسان الذين كانوا قد خرجوا لإنقاذ البقاع المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين «شكلوا اتحاداً تحت اسم البنائين الأحرار [الماسون]؛ مشيرين بهذا إلى أن رغبتهم الأساسية كانت إعادةَ بناء هيكل سليمان»[3].

---

(١) المقصود بالطقس هنا: النظام التعبدي.

(2) Mackey, Albert. Encyclopedia of Freemasonry, p. 120-121.

(3) Webster, Nesta. Secret Societies and Subversive Movements, p. 154.

وعندما فطن ملوك أوروبا لأطماع اليسوعيين طالبوا البابا «كلمنت الثالث عشر» بحظر التنظيم، لكن اليسوعيين سقوه السمَّ عشية إعلان الحظر، فكان إعلان الحظر بعدها بأربعة أعوام على يد خليفته «كلمنت الرابع عشر» عام ١٧٧٣م. هنا لجأ اليسوعيون إلى روسيا وبروسيا، وظلوا يعملون في الخفاء إلى أن ظهروا ثانية باسم تنظيم الإلوميناتي «المتنورين» بقيادة اليسوعي «آدم وايسهاوبت» عام ١٧٧٦م. وكان هذا التنظيم يجمع اليسوعيين والماسون الذين أصبحوا آلة لهم، بالإضافة إلى عائلة «روثتشايلد» القبَّالية اليهودية. يقول «جيمس روبيسون» الذي عاصر نشأة الـ «إلوميناتي»:

«... تم تشكيل اتحادٍ [يعني الـ «إلوميناتي»] يهدف صراحة إلى استئصال كل المؤسسات الدينية، والإطاحة بكل حكومات أوروبا القائمة. لقد رأيتُ هذا الاتحاد يبذل وُسْعَه بحماس ونظام حتى أصبح الآن لا يقاوَم. ورأيت أن أكثر القادة فاعلية في الثورة الفرنسية كانوا أعضاء في هذا الاتحاد، وأداروا تحركاتهم الأولى وَفْقاً لمبادئه وبواسطة تعاليمه وعونه»(١).

وبعد الثورة الفرنسية أعلن البابا «بيوس الثاني عشر» إعادة تنظيم اليسوعيين عام ١٨١٤م، فازدهر هذا التنظيم وأصبح هو المسيطر على شؤون الكنيسة الرومية الكاثوليكية تماماً وأصبح جنرال اليسوعيين (البابا الأسود) هو صاحب الحل والعقد. وكان من الزعماء الذين أبدو إعجابهم بهذا التنظيم وتواطؤوا معه قائد النازيين «هتلر» الذي قال: «في «هِملر» أرى «إغناطيوس لويولا» الخاص بنا»(٢). فكان جزاؤهم بعد إنتهاء الحرب العالمية أن هرَّب الفاتيكان من بقي منهم إلى

---

(1) Robison, James. Proofs of A Conspiracy (Philadelphia: 1798), p. 12.
(2) The Vatican against Europe, p. 256.

الأمريكتين في ما يُعرَف بعملية «مراقي الفاتيكان» The Vatican Ratlines.

وعلى يد التنظيم اليسوعي نشأ ما يعرف بمشروع «النظام العالمي الجديد» الذي يهدف إلى تركيز ثروات العالم وقواه تحت مظلة تشبه مظلة الأمم المتحدة تحكمها الكنيسة الرومية بشكل مباشر أو غير مباشر، وهو ما يُعرَف باسم: العولمة أو حكومة العالم الواحد. وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل «روما المؤقتة» التي تقوم بهذا الدور.

يرتبط زعماء أمريكا باليسوعية عن طريق تنظيماتٍ تابعةٍ لها؛ فـ«بوش الأب» وابنه ينتميان إلى «تنظيم الجمجمة والعظمين» التابع للتنظيم اليسوعي كما هو ثابت في وثائق جامعة «ييل» منشأ هذا التنظيم، وأما «كلينتون» فهو فارس من «فرسان دي موليه» آخر قادة فرسان الهيكل، وأما الرئيس الحالي «أوباما» فهو عضو في «مجلس العلاقات الخارجية». وهؤلاء الزعماء على اختلاف مشاربهم يسعون لتحقيق هذا «النظام العالمي الجديد» وإعادة إمبراطورية الروم بعد أن زلزلها الإسلام؛ فلا غَرْوَ أن نجد الرئيس «بوش الأب» عام ١٩٩٠ يسمي «أزمة الخليج» فرصةً لإقامة «النظام العالمي الجديد» فيقول:

«إننا نمتلك بين أيدينا الفرصة لأن نصوغ لأنفسنا وللأجيال اللاحقة «نظاماً عالمياً جديداً»، عالمياً حيث شريعة القانون لا شريعة الغاب تحكم سلوك الأمم، عندما ننجح - وسوف ننجح - فإن لدينا فرصة حقيقية لتحقيق هذا «النظام العالمي الجديد» نظام تلعب فيه «أممٌ متحدة» موثوقة دور حفظ السلام للوفاء بوعد ورؤية مؤسسي الأمم المتحدة»[1].

(1) http://www.youtube.com/watch?v=Rc7i0wCFf8g

وبعد أن تولى «بيل كلينتون» فارس دي موليْه عرشَ «روما المؤقتة»، تحدَّث في أحد خطاباته عن ذلك المشروع المشترك «النظام العالمي الجديد» الذي لا يفرِّق بين جمهوري وديمقراطي قائلاً:

«منذ عام ١٩٤٥م نهايةِ الحرب [العالمية الثانية] إلى عام ١٩٨٩م نهايةِ الحرب الباردة... كانت لدينا «نظرة عالمية»؛ الجمهوريون والديمقراطيون على حد سواء... من «هاري ترومان» إلى «جورج بوش»... ناضلنا من أجل الحرية ومن أجل قضايا معيَّنة تجعل أمريكا قوية وصحيحة وتزيد من الطبقة الوسطى وتقلِّص الفقر وتقف في وجه الشيوعية. وبعدعام ١٩٨٩م ردد الرئيس بوش عبارة أستخدمُها بنفسي كثيراً: أننا بحاجة إلى «نظام عالمي جديد»...»[١].

أما «جو بايدن» الرومي الكاثوليكي، ونائب الرئيس الأمريكي الحالي، فقد دعا إلى تبنِّي مشروع «النظام العالمي الجديد» كسياسة خارجية لأمريكا في القرن الحادي والعشرين في كلمة ألقاها عام ١٩٩٢م أمام مجلس الشيوخ بعنوان: «على أعتاب النظام العالمي الجديد». جاء فيها:

«أود أن أقدِّم مقترحاً يبيِّن كيفية بدء إعادة تنظيم سياستنا الخارجية؛ لنحقق القوة الكامنة الكاملة المتجسدة في عبارة «النظام العالمي الجديد»... إنني أحث على أن نُحْيي مفهوم «نظام عالمي جديدٍ» وأن ننقذ العبارة من الشكوك وأن نستثمر فيها رؤية ينبغي أن تصير ضابطَ التنظيم للسياسة الخارجية الأمريكية في التسعينيات من القرن العشرين وفي القرن الذي يليه [الحادي والعشرين]»[٢].

(1) http://www.youtube.com/watch?v=1etgsNU46s4.
(2) Biden, Joe. «On the Threshold of the New World Order.» http://www.scribd.com/doc/14566112/Jospeh-Biden-On-the-Threshold-of-the-New-World-Order

تنتشر اليسوعية اليوم في جميع أنحاء العالم بلا استثناء، سواء بشكل علني أو خفي حسب الظروف المتاحة لها؛ فهم يقسِّمون العالم إلى أقاليم لتسهيل التعامل معها. فعلى سبيل المثال تقع إفريقيا تحت مظلةِ منظمةِ «يسوعيي إفريقيا ومدغشقر» JESAM، ويشرف على هذه المنظمة الأب اليسوعي «فراتيرن ماساوي»، وتقسم إفريقيا إلى سبعة أقاليم منها:

- إقليم إفريقيا الوسطى: ويشمل جمهورية الكونغو.

- إقليم إفريقيا الشمالية الغربية: ويشمل غامبيا وغانا وليبيريا ونيجيريا وسيراليون.

- إقليم إفريقيا الشرقية: ويشمل إثيوبيا وكينيا والسودان وتنزانيا وأوغندا.

- أما مصر فداخلة تحت «إقليم الشرق الأدنى»، وأما المغرب والجزائر فتحت مظلة «منطقة المغرب» التابع لـ «إقليم فرنسا»، إلى أخر ذلك من التقسيمات[1].

وكما هو معروف عن تنظيم اليسوعية فإن له حراكاً سياسياً يفوق الجماعات الكنسية الأخرى. وهو لا يهتم للنشاط التنصيري بقدر ما يهتم للسلطة والوصول إليها كما عبر عن ذلك نابليون بقوله:

«إن اليسوعيين تنظيم عسكري وليسوا رهبنة دينية. زعيمهم جنرال جيش وليس مجرد راهب في صومعته. وهدف هذا التنظيم هو السلطة: السلطة بكل ممارساتها الاستبدادية: سلطة مطلقة، سلطة شاملة، سلطة للسيطرة على العالم على قلب رجل واحد. إن اليسوعية أكثر الأنظمة استبداداً، وفي الوقت ذاته أعظمها إساءة واستغلالاً... كلُّ عمل، وكل جريمة - مهما بلغت بشاعتها -

---

(1) http://www.jesam-infos.org/en/provregions.php

جديرة بالتقدير، إذا ارتُكبت لمصلحة جمعية اليسوعيين أو بأمر الجنرال»[١].

ولعل أقرب مثال على النشاط السياسي لليسوعيين هو مبادرة «الحركة الدولية للطلاب الكاثوليك» في السودان بتنسيقٍ ودعمٍ من اليسوعيين في الخرطوم وإشرافٍ من الأبوين اليسوعيين «هانز بوتمان» و«جون شاشو»؛ لإقامة ورشة عمل بعنوان: «دور الطلاب الكاثوليك في الانتخابات السودانية (٢٠١٠) والاستفتاء (٢٠١١)». وكانت الدعوة إلى الطلاب الكاثوليك المشاركين أن «يصوتوا بشكل مسؤول». وقد شارك في هذه الورشة بعض المنظمات التابعة للأمم المتحدة كـ «بعثة الأمم المتحدة في السودان»، و«برنامج الأمم المتحدة الإنمائي»[٢].

أما في الدول التي لا يمكن لهم التحرك فيها بشكل ظاهر، فيلجأون إلى اختراقها عن طريق المؤسسات التعليمية والجامعات. ومن أشهر الجامعات اليسوعية ذات النشاط المريب في منطقة الخليج «جامعة جورجتاون» التي تضم ما لا يقل عن ٥٩ أكاديمياً هم من اليسوعيين المعلَنين كما تشير إلى ذلك وثائق الجامعة.[٣]

إن اليسوعية (حاملة لواء الصليبية) التي أرهبت العالم على مدى أربعمائة عام على الأقل لا تزال تغرز مخالبها في خاصرة العالم الإسلامي وليس هناك من ينبري من أبناء الإسلام لتتبُّع أخبارها فضلاً عن التحذير منها؛ فهل أمِنَّا جانبهم؟

---

(1) Chiniquy, Charles. Fifty Years in the Church of Rome, p. 684.
(2) http://www.imcsafrica.levillage.org/eng/attachments/073_pax%20newsletter%202010.pdf
(3) http://jesuits.georgetown.edu/JCListing.cfm

الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية شقاق أم وفاق؟

مجلة البيان - عدد (٢٩١)

إن الدبلوماسية المعاصرة التي تتعاطاها الكنيسة الرومية الكاثوليكية لم تكن دائماً خيارها الأول للتعامل مع الخصوم عبر التاريخ؛ فصراع الروم والمسلمين في حقبة الحروب الصليبية لا يخفى، بل لا يزال كبراء الكنيسة الكاثوليكية يصرحون بعدائهم لهذا الدين وأهله بين الفينة والأخرى. كما أن اضطهاد الكنيسة لطائفة البروتستانت التي تخالفها في بعض عقائدها قديم قدم الحركة «الإصلاحية» البروتستانتية على يد «مارتن لوثر» عام ١٥١٧م. لكن علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة الأرثوذكسية يكتنفها شيء من الغموض الذي سأحاول كشف بعض جوانبه بعون الله.

لا شك أن الكنيستين الشرقية والغربية كانتا خصمين لدودين منذ اختلافهما في القرن الخامس الميلادي حول قضايا «لاهوتية» عُقدَت لها المجامع وأُلِّفت فيها الرسائل من الطرفين ولَعنت كلتا الأمتين أختها. وفي مستهل القرن الحادي عشر الميلادي تفاقم الحال بعد أن رفض بطريرك القسطنطينية الأرثوذكسي «ميخائيل كيرولاريوس» Michael

Cerularius الخضوع للسلطة البابوية وأُغلقت كنائس الروم اللاتين في المشرق وظل نفوذ الأرثوذكسية في اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا ورومانيا وفلسطين والإسكندرية وروسيا.

في أثناء الحرب الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م هاجم الروم الصليبيون ودمروا القسطنطينية عاصمة الأرثوذكسية حينئذٍ. واستمر الصراع بين الكنيستين إلى يومنا هذا؛ أي ما يقارب ألف سنة. كان هدف الكنيسة الكاثوليكية من هذه المواجهة تدمير أو إخضاع الكنيسة الأرثوذكسية، أو دمجها طوعاً أو كرهاً في الكنيسة الكاثوليكية.

بين عامي ١٤٥٣م (فتحُ القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية البيزنطية) إلى سقوط الإمبراطورية القيصرية الروسية عام ١٩١٧م كانت علاقة الفاتيكان بالكنيسة الأرثوذكسية تمر بمرحلة ركود دبلوماسي من أهم أسبابه انتقال مركز الأرثوذكسية من الشرق إلى الغرب (روسيا المقدسة) حيث ضربت بأطنابها. فكما كانت روما اللاتينية هي «روما الأولى» أصبحت القسطنطينية «روما الثانية». فلما سقطت الدولة البيزنطية على أيدي المسلمين صارت روسيا المعقل الأقوى للكنيسة الأرثوذكسية وموسكو هي «روما الثالثة».

وجدت الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أرضاً خصبة لاستعادة قوتها وهيبتها، لكنها أخطأت ثانية عندما ارتبطت بالإمبراطورية القيصرية كما ارتبطت مِن قَبلُ بالإمبراطورية البيزنطية، فكان ضعفها متلازماً مع سقوط روسيا القيصرية عام ١٩١٧م. حينها استؤنفت مكائد الدبلوماسية الكاثوليكية حيثما وجدت الأرثوذكسية في البلقان وروسيا وأوروبا الشرقية بل وفي الشرق الأوسط. ولم

تتورع الفاتيكان عن سلوك السبل الأخلاقية وغير الأخلاقية في محاولة للقضاء على هذا الخصم العنيد. ولعل ما حصل خلال الحرب العالمية الأولى يبرهن على ذلك.

ففي أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى وقّع رئيس وزراء بريطانيا «لويد جورج» مع «بازل زاهاروف» ورئيس وزراء اليونان «فينيزيلوس» اتفاقية تنص على منح اليونان عاصمة الأرثوذكسية القديمة - القسطنطينية. أثارت هذه الاتفاقية زوبعة من الاحتجاجات التي لم تصدر من الدول الغربية بل من الفاتيكان خصم الكنيسة الأرثوذكسية. وأصبحت بريطانيا حقيقةً بالسخط البابوي لما تغافلت عن طلب البابوية بعدم الإقدام على مثل تلك الاتفاقية. فما كان من الفاتيكان إلا أن شرعت تُقلِّب عملاءها الماسون فوجدت في «كمال أتاتورك» خير معين. لقد سُرِّي عن الفاتيكان بانتصار أتاتورك في «إزمير» فتبددت بذلك أحلام اليونان في امتلاك العاصمة الأرثوذكسية القديمة.

أدرك «أتاتورك» أن التحالف مع الفاتيكان سيكون ذا نفع للطرفين فعقد تحالفاً غير معلن منح صلاحيات خاصة للكنيسة الكاثوليكية في تركيا. لكن أعظم ما جنته الكنيسة من هذا التحالف هو الحيلولة دون عودة الكنيسة الأرثوذكسية إلى القسطنطينية. لقد وصفت صحيفة «أوسيرفاتوري رومانو» Osservatore Romano التابعةُ للكنيسة الكاثوليكية انتصار أتاتورك في إزمير بقولها «نصرٌ للبابا عظيمٌ»(1).

---

(1) Avro Manhattan. Vatican Imperialism in the 20th Century (Zondervan, 1965), p. 241.

ليس ذلك فحسب، بل قرر أتاتورك تحويل مسجد أيا صوفيا الذي كان يصدح بالأذان - بعد أن كان قبلها كنيسة أرثوذكسية - إلى متحف رومي بيزنطي بعد أن استشار الفاتيكان تحسباً لأي ممانعة. لكن الفاتيكان التي تُرعد وتُزبد عادةً إذا ما هُددت مؤسسة كاثوليكية بالعلمنة كانت هذه المرة أصمَتَ من فئران الكنائس، بل شجعت عميلها الماسوني سراً على تدنيس المقدسات غير الكاثوليكية.

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد حققت للفاتيكان نصراً على الكنيسة الأرثوذكسية فإنها كذلك فتحت لها أفاقاً في التعامل الدبلوماسي الذي سعت من خلاله دائبة لإسقاط الدولتين العثمانية الإسلامية والقيصرية الروسية الأرثوذكسية، وكان ذلك فعلاً.

كان من أسباب اضطراب الكنيسة الأرثوذكسية مقارنةً بالرومية الكاثوليكية ارتباطُها - كما أسلفتُ - بالإمبراطوريات وهو ما عنَى سقوطَها بسقوط دولتها. فلما قامت الثورة البلشفية نُسفت هذه الكنيسة كما نسفت دولتها القيصرية، وتبع ذلك تأميمُ ثروتها الهائلة وتهميش الدور السياسي لقساوستها، وأصبح الفصل بين الدين والدولة حقيقة قائمة.

فهل حزنت الفاتيكان على سقوط كنيسة نصرانية على أيدي الملاحدة؟ كلا! بل عم الفرح والبهجة أروقة كنيسة القديس بطرس في روما؛ فالبلاشفة وإن كانوا ملحدين إلا أنهم خدموا الكنيسة الرومية بالقضاء على خصمها اللدود (الكنيسة الأرثوذكسية)، فلا ريب أن منهج الفاتيكان مكيافيلي صِرْف تبرر فيه الغايةُ الوسيلة. لقد أنجز البلاشفة ما لم تنجزه الكنيسة الكاثوليكية لأكثر من ألف عام ومهدوا لسياسة الهيمنة الغربية على كنائس الشرق التي تمثلت في تحويل كثير من

أتباع الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية بالإضافة إلى «الدمج الروحي» لبلغاريا ورومانيا والصرب وأوكرانيا الأرثوذكسية وغيرها داخل الكنيسة الرومية[1]. بل لما نهضت المقاومة الأرثوذكسية لم تبدِ الفاتيكان أي تعاطف معها بل كانت ترجوا أن تَضرب روسيا الملحدة ضربتها القاضية فتنتهي الأرثوذكسية إلى الأبد. وهذا ما صرح به «مونتي» صديق البابا بندكت الخامس عشر قائلاً:

«إن قداسته [يعني البابا] يرى أن هذه الجرائم وهذه الدماء ستكون ذات فضل يوماً ما، إن أمكن - بعد انصراف موجة الإلحاد هذه - أن يبشَّر بالكاثوليكية في روسيا. إن بقاء الأرثوذكسية لن يدوم طويلاً، ونهايتها كدين رسمي يتيح فُرَصاً لم تكن لتوجد في ظل حكم القياصرةِ حراسِ الكنيسة [الأرثوذكسية]»[2].

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية قامت الكنيسة الكاثوليكية باستنفار الكاثوليك في الشرقين (الأدنى والأوسط) فنشأ الحراك الكلداني الكاثوليكي في العراق، والماروني في لبنان، والكاثوليكي القبطي في مصر، وغيرها، ولا تزال هذه الطوائف تشكل ثقلاً كاثوليكاً في أوساط نصارى الشرق الذين كانوا ذات يوم تابعين للكنيسة الأرثوذكسية. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية بدبلوماسيتها الفريدة تُضيِّق على الكنيسة الأرثوذكسية بينما تستعمل ورقة «اضطهاد» النصارى لتبرير تدخلها في شؤون النصارى من الطوائف الأخرى كما هو الحال في مصر. ولن يَقَر لروما قرار حتى تُجْهِز على كل خصومها. لكن هذا إن حدث مع خصومها من النصارى الأورثوذكس فلن يكون مع أهل الإسلام بعد وعد الله بالنصر.

---

(١) مرجع سابق.

(2) Count Sforza. Contemporary Italy (F. Mulker, 1940).

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللَّهِ! لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً».

«الموسوعة البريطانية» ومقص الرقيب الكاثوليكي

مجلة البيان - عدد (٢٨١)

تُعَدُّ الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica) التي نعرفها باسم «دائرة المعارف البريطانية» مرجعاً له مكانته في عالم البحث العلمي. ولعل اسم «إنسايكلوبيديا بريتانيكا» لا يزال يرنُّ في مسامع بعضنا منذ أن كنا صغاراً نشاهد أفلامها الوثائقية.

بدأ صدور الموسوعة البريطانية عام ١٧٦٨م بعد أن استُلهمت فكرتها من الموسوعة الفرنسية (Encyclopédie) التي ظهرت قبلها بعقد ونيِّف؛ فظهرت بعض الأقلام المتحررة من الصولجان البابوي، وتَشَكَّل بذلك تيارٌ فكري مناوئ للكهنوتية انتهى بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. ولكن بينما توقف صدور الموسوعة الفرنسية عام ١٧٨٠م، استمرت طبعات «الموسوعة البريطانية» إلى زمننا هذا، بعد أن «طُهِّرت بماء المعمودية» من قِبل الكنيسة.

لعل أذهان بعض الناس لا تتقبل صورةً لقسيس كاثوليكي يحرر موسوعة «ليبرالية»، لكنها الحقيقة التي أَقرَّ بها «اتحاد وِستمنستر الكاثوليكي»

(Westminster Catholic Federation) الذي أشرف بنفسه على طقوس العماد. فبعد أن ذاع صيت الموسوعة وأصبحت مرجعاً للقراء الأمريكيين فضلاً عن الإنجليز بحلول عام ١٩٢٠م، كان لزاماً أن يعاد النظر في محتواها لتواكب التقدم العلمي آنذاك؛ فانتُخِب لهذه المهمة فريق من المحررين البريطانيين والأمريكيين. ولما انتهى المشروع عام ١٩٢٨م علق «اتحاد وستمنستر الكاثوليكي» على الحدث بكل جرأة قائلاً: «لقد قام مشروع مراجعة «الموسوعة البريطانية» لأجل حذف الأمور المعارضة لوجهة النظر الكاثوليكية وإضافة ما هو دقيق ومحايد. لقد تم تمحيص المجلدات الثمانية والعشرين، ثم حُددت المقاطع المعارضة، وبُيِّنت أسباب حذفها أو تعديلها. إن كل الأسباب تدعو إلى الأمل في أن تكون الطبعة الجديدة من «الموسوعة البريطانية» أكثر دقة وحياداً من سابقاتها»[١].

ولنا وقفة هنا مع هذا الاعتراف الصادر عن السلطة الكاثوليكية التي باشرت بنفسها تعديل «الموسوعة البريطانية» لتجعلها سائغة للذوق البابوي؛ إنها دليل قاطع على أن سلطة الكنيسة الكاثوليكية في البلاد الغربية واقع لا يمكن تجاهله وإن غابت الأصابع المحرِّكة عن أنظار العامة. وهذا النفوذ الذي صرَّح به «اتحاد وستمنستر الكاثوليكي» نجد مثيله في الولايات المتحدة منذ القرن التاسع عشر، وقد عبر عنه «جستن فلتن» في كتابه «واشنطن في حجر روما» بقوله: «ما من صحيفة مؤثرة على الكنيسة الكاثوليكية يُسمح لها أن تطبع حتى تُعرَض على الكاردينال للنقد»[٢].

---

(1) McCabe, Joseph. The Social Record of Christianity (Book Tree, 2000), p. 4.

(2) Fulton, Justin D. Washington in the Lap of Rome (Boston: W. Kellaway, 1888), p. 25.

ولعلّي أضرب لذلك بعض الأمثلة: فبينما كنت ذات مرة أقرأ عن تنظيم المتنورين (الإلوميناتي) ومؤسسه «آدم وايسهاوبت» في طبعة عام ١٩١١م من «الموسوعة البريطانية» لفت نظري إقرار الموسوعة بأنه «أستاذ القانون الكنسي بـ «إنجولشتات»، ويسوعي سابق»، وهو ربط مباشر بين اليسوعية الكاثوليكية وبين مؤسس تنظيم ماسوني يُنسَب عادة إلى تأسيس «النظام العالمي الجديد». فلما رجعت إلى نسخةٍ حديثةٍ للموسوعة وجدت أن ذلك المقال المفصَّل حول «الإلوميناتي» صار لا يتجاوز بضعة أسطر، بل قُلِّمت أظفاره حتى صار هزيلاً لا يمتُّ إلى الأكاديمية بِصلة.

كذلك المقال المتعلق بـ «لودريجو بورجا»، ذلك الكاهن الإسباني العربيد الماجن الذي أصبح يعرف فيما بعد بالبابا «الإسكندر السادس». لقد حاول مقص الرقيب الكاثوليكي بقدر الإمكان تحسين صورته لدى قارئ الموسوعة؛ فقد بيَّن كاتب المقال الأصلي أن الإسكندر عُرِف بانحلاله الخلقي قبل جلوسه على كرسي البابوية حينما كان كاردينالاً، ومع ذلك اختير ليعتلي عرش البابوية! فكان مما كتب: «بالرغم من الفساد الكنسي الذي بلغ ذروته إلا أن حياة العربدة التي عاشها [الإسكندر] جلبت له نقداً لاذعاً جداً من قِبل البابا «بيوس الثاني»»؛ أي أن فساده الأخلاقي تجاوز المعهود في زمانه. وفي موطن آخر من المقال يذكر الكاتب أن «من أمثلة فساد البلاط البابوي أن «لوكريزا» ابنة «بورجا» [الإسكندر] كانت تعيش مع خليلته «جيليا» التي ولدت له ابنته «لورا» عام ١٤٩٢م (وهو العام الذي اختير فيه لمنصب البابوية)». لكن مقص الرقيب لم يتجاوز ما أوردتُه حتى حذف العبارتين كلتيهما بحجة الاختصار حتى لا تتضخم الموسوعة. لكن الموسوعة تتنازل عن مطلب الاختصار عندما يتعلق الأمر بتمجيد أعلام اللاهوت الكاثوليكي. فمقال

«أثناسيوس» أسقف الإسكندرية الذي نافح عن الكنيسة ضد الآريوسية يزداد توسعاً في الطبعات اللاحقة.

وأختم بالمقال المتعلق بـ «اليسوعية» ذلك التنظيم الكاثوليكي الخطير الذي تحدثتُ عنه بإسهاب في غير هذا الموضع. فقد هُذِّب هذا المقال حتى في نُسَخِه القديمة. ثم وُكِلَت كتابة المقال إلى الأب اليسوعي «تونتون» الذي زيف حقيقة اليسوعية في أعين القراء وألبسها لباس التقوى والورع. لكنه قال في أثناء المقال: «إن حقيقتين مرَوِّعتين لا يُختلَف حولهما تقابلان الدارس المتتبِّع لتاريخ الجمعية [اليسوعية]:

أولهما: الشكوك والعداء العالميان اللذان جلبتهما على نفسها، ليس فقط من البروتستانت الذين تعهَّدَت بمعاداتهم ولا من أعداء الكهنوت، بل من كل الأمم الكاثوليكية في العالم. لقد كان أكبر أعدائها من أتباع العقيدة الرومية الكاثوليكية»

لكن مقص الرقيب أتى على هذا المقطع فلم يُبق منه سوى عبارة وجيزة تزعم أن «أبرز حقيقة في تاريخ الجمعية هي الشكوك والعداء اللذان جلبتهما على نفسها من أتباع العقيدة الرومية الكاثوليكية» والفرق بين المعنيين شاسع. لكن سبب الشكوك والعداء - وَفْقاً للنسخة المنقحة هذه - هو فضل اليسوعية وانعدام الأمانة عند منتقديها!

هذا غيض من فيض أردت منه بيان هيمنة البابوية على تاريخ الغرب وفكره. فمن أراد أن يعرف مدى هذه الهيمنة فلن يجده فيما يُنشَر للعامة؛ فمقص البابوية لم يترك موسوعةً بوزن الموسوعة البريطانية؛ فكيف بما دونها؟

لقد كُتِب التاريخ الغربي لنا بأيدٍ ملطخة بالدماء، ومن ظن أنها ستكتب لنا قصة الضحية فقد وَهِم. فها نحن نشهد تزويراً لتاريخ نشاهده ونعلمه؛ فكيف بما لم نشاهده وما لا نعلمه؟

القدس عاصمةً للنظام العالمي الجديد

مجلة البيان - عدد (٢٨٦)

يعد مصطلح «النظام العالمي الجديد» من أهم المصطلحات السياسية المعاصرة ' لكنه من أكثرها غموضاً لما يرتبط به من عقائد وأجندات خفية. لكنه عند الباحثين المحققين يعبِّر عن تنظيم صليبي على غرار منظمة الأمم المتحدة – بل هو امتداد لها – يهدف إلى أن يَستَبدل بالحكومات ذات السيادة المستقلة حكومةً عالميةً باطنيةً تتخذ من القدس عاصمة لها.

لقد حاول الغرب الصليبي تجسيد فكرة النظام العالمي الجديد من خلال إنشاء اتحاداتٍ عولمية من أشهرها «عصبة الأمم» التي تُعَد سلفاً لمنظمة الأمم المتحدة. وقد أشار الرئيس الأمريكي الأسبق «جورج بوش الأب» إلى ارتباط مَهامِّ الأمم المتحدة بالنظام العالمي الجديد عندما عرَّف «النظام العالمي الجديد» بأنه «نظام تلعب فيه «أممٌ متحدة» موثوقة دورَ حفظ السلام وفاءً بوعد ورؤية مؤسسي الأمم المتحدة»[1].

(1) http://www.youtube.com/watch?v=Rc7i0wCFf8g

فالنظام العالمي الجديد إذن هو «أممٌ متحدةٌ» لها حق التدخل عسكرياً وسياسياً واقتصادياً في سيادة أي دولة لا تنصاع لهذا النظام الصليبي. وقد أشار إلى هذا الدور الاستبدادي «ستانفيلد تيرنر» عضو «مجلس العلاقات الخارجية» ومدير الـ CIA الأسبق عندما علّق على أزمة الخليج قائلاً: «هنا أحد الأمثلة؛ ألا وهو الوضع القائم بين الأمم المتحدة والعراق؛ حيث تتدخل الأمم المتحدة عامدة في سيادة دولة مستقلة... هذه سابقة رائعة ينبغي أن توظَّف في كل الدول»(١). وها هو النظام العالمي الجديد يوظفها فعلاً في أفغانستان وليبيا وساحل العاج، وسيظل يوظفها مع الأمم حتى يتم القضاء على كل قوة يمكن أن تقف في وجهه.

من دعائم هذا الاستبداد العولمي تدمير القدرات العسكرية للأمم ونزع السلاح بحجة منع الفوضى ونشر السلام؛ بينما لا يزداد الغرب الصليبي إلا تسلّحاً. وقد أصدرت وزارة الداخلية الأمريكية عام ١٩٦١م خطة بعنوان «التحرر من الحرب: برنامج الولايات المتحدة لنزعٍ شاملٍ وكاملٍ للسلاح في عالم مُسالم» تطرَّقَت فيها إلى ثلاث مراحل لنزع السلاحٍ من الأممٍ، وتسليحِ الأمم المتحدة في المرحلة الأخيرة؛ عندها «لن تمتلك أيُّ دولةٍ القوة العسكرية لمواجهة قوة السلام التابعة للأمم المتحدة التي ستتزايد قوَّتها تدريجياً»(٢).

لكن أمراً بالغ الأهمية ينبغي أن يشار إليه هنا وهو أن «النظام العالمي الجديد» أو «الأمم المتحدة» أو «الحكومة العالمية» تخطط لجعل القدس عاصمة لها تحت ستار حل القضية الفلسطينية. وهذا ليس سراً، بل هو حلم مؤسسي «عصبة الأمم» التي

---

(1) Lett, Jr., Donald, G. Phoenix Rising: The Rise and Fall of the American Republic, p. 285.

(2) Schlesinger, Arthur Meier. A Thousand Days: John F. Kennedy in the White House (Houghton Mifflin Harcourt, 2002), p. 476.

تُعَد سلفاً للأمم المتحدة. تقول الكاتبة «إيديث ميلر» في كتابها «الثيوقراطية الباطنية» الذي نُشر بعد وفاتها عام ١٩٣٣م: «إننا على علم بأن اللورد «روبرت سيسيل» (رئيس اتحاد عصبة الأمم) قد تنبأ في خطاباته التي ألقاها في الولايات المتحدة داعماً عصبة الأمم بأنها في نهاية أمرها ستجعل من القدس مقراً رئيساً لها»[1].

إن ارتباط الأمم النصرانية بالقدس يعود إلى عصر الحروب الصليبية حين اتخذ فرسان الهيكل الصليبيون من القدس قاعدة لهم. وأملُ العودة إلى «الهيكل» لا يزال يدغدغ مشاعر الماسون الذي يخدمون المشروع الصليبي الساعي إلى استعادة بيت المقدس. وقد صرَّح بهذه الحقيقة مؤرخ الماسونية «جون روبنسون» عندما قال قبل أكثر من عشرين عاماً:

«إن ما أقترحه هو أن يقوم خمسة ملايين ماسوني في العالم تقريباً، ممن يَقبلون الإخاء مع أتباع كل الأديان، بأخذ زمام المبادرة في حل مشكلة جبل الهيكل [القدس الشريف] عن طريق توحيد مواقفهم الدينية من خلال إجلالهم لـ «هيكل سليمان»؛ وذلك لمصلحة العالم أجمع[2]. ستكون رحلةً طويلةً ومكلفة من الغرب إلى الشرق؛ لكنها ستُضفي معنى جديداً لكل أحد يجعل من نفسه لَبِنة تامة تأخذ مكانها في «هيكل الرب». ستكون طريقة عجيبة لإتمام «هيكل سليمان» الذي لم يتم بعد، وإتمامِ شوطٍ كاملٍ من الطواف يعود إلى الغرض الأول للأسلاف (فرسان الهيكل) الذين كانوا أمانَ العابرين من الحجيج إلى تلك البقعة المقدسة»[3].

---

(1) Lady Queenborough. Occult Theocracy (South Pasadena, California: Emissary Publications, 1980), p. 639.

(٢) لا ريب أن مساعي التقريب بين الأديان التي يروِّج لها الفاتيكان تصب في هذا الإطار.

(3) Robinson, John J. Born in Blood: The Lost Secrets of Freemasonry (M. Evans & Co., 1989), p. 344.

كما أن مشروع البهائية الذي يتفق شكلاً ومضموناً مع «النظام العالمي الجديد» يدعو إلى عاصمة عالمية. فهذا زعيم البهائية «شوقي أفندي» يتكهن - بعد أن لَقَّنه أسيادُه من الروم - بقيام «هيئة تنفيذية عالمية تسندها قوة دولية سوف تنفِّذ القرارات التي تصدرها هيئة التشريع العالمية وتطبِّق القوانين التي تشرِّعها وتحرس الوحدة الأساسية لرابطة الشعوب العالمية بمجموعها... وستكون عاصمةٌ عالميّةٌ المركزَ العصبيَّ لحضارة عالمية والنقطةَ التي فيها تتجمع جميع القوى الموحدة للحياة ومنها يشعُّ نشاط نفوذها الفعَّال»[١]. وهذه العاصمة هي القدس بلا ريب.

ولكن يبدو أن الغرب الصليبي لم يعد يحتمل المفاوضات المتطاولة مع الطرفين المسلم واليهودي فبادر مستشارُ أوباما اليسوعيُّ «زبيجنيف بريجينسكي» بطرح خطة سلام في مقال خطير كتبه بالتعاون مع «ستيفن سولارز» لصحيفة «واشنطن بوست» بعنوان «على أوباما أن يقوم بزيارة جريئة إلى الشرق الأوسط إن أراد تحقيق السلام»[٢]؛ يقترح فيه حلاً للقضية الفلسطينية يتلخص في دولتين تَقتسِمان القدس بينما توضع «البلدة القديمة» التي تضم المسجد الأقصى وكنيسة القيامة تحت وصاية الأمم المتحدة.

ليس غريباً أن نسمع مثل هذه الأطروحات من رجل صرَّح بأنه بمثابة عضوِ شرفٍ في التنظيم اليسوعي الصليبي[٣]؛ لكن الغريب هو أن تكون هذه المبادرة

(١) منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد (ولمت، إلينوي، الولايات المتحدة: مؤسسة النشر البهائية، ١٩٧٠م)، فصل: «نظام بهاء الله العالمي».

(2) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2010/04/09/AR2010040903263.html

(3) Robert Dreyfuss. Hostage to Khomeini (New York: New Benjamin Franklin House Publishing Company, 1980), p. 5.

المقترحة هي عين ما دعا إليه «أحمد قريع» أمام البرلمان الأوروبي في «ستراسبورغ» بقوله: «ما لم نتوصل إلى اتفاق حول القدس، فإني أعلن أن القدس بشقَّيها الشرقي والغربي ينبغي أن تكون قدساً دولية موحدة... فلا تكون عاصمةً لإسرائيل أو فلسطين فحسب، بل عاصمةً للعالم أجمع»[1].

إن هذه الخطة التي طرحها «بريجينسكي» ليست وليدة الساعة، بل هي مبنية على «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١» عام ١٩٧٤م[2]. لكن الجديد هذه المرة هو لغة الاستعلاء في التعامل مع من يرفضها من الطرفين. يقول «بريجينسكي» في مقاله: «ينبغي على إدارة أوباما - إذا ما رفض الإسرائيليون أو الفلسطينيون الموافقة على الصيغة الأساسية [للخطة] كنقطة انطلاق للمفاوضات - أن تكون مستعدة للاستمرار في مبادرتها بوسائل مختلفة... وبناءً عليه فإن على الإدارة [الأمريكية] أن تُبلغ الطرفين أنه إن رُفِض العرض من أحدهما أو كليهما فإن الولايات المتحدة ستطلب تأييد مجلس الأمن لخطة السلام هذه، وهي خطوة كفيلة بأن تولدِّ ضغطاً عالمياً على الطرف المتمرد»[3].

وهذا يعني بأسلوب أكثر تبسيطاً أن على الطرفين (الفلسطيني والإسرائيلي) أن يقبلا سيادة الأمم المتحدة أو «النظام العالمي الجديد» على البقاع المقدسة في القدس طوعاً أو كرهاً فليس ثمة خيار آخر إلا الخيار العسكري بإشراف «مجلس الأمن». ولا أدري ما الفرق بين اقتراح الصليبي «بريجينسكي» وبين تصريح «محمود عباس»

---

(1) http://www.guardian.co.uk/world/2000/sep/06/israel

(2) http://www.cfr.org/un/un-general-assembly-resolution-181-ii-palestine/p11191

(3) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2010/04/09/AR2010040903263.html

الذي هدد فيه إسرائيل «بالتوجه إلى مجلس الأمن» ومطالبته بفرض الوصاية على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م[1]. فهل نحن أمام مسرحية كُتبت فصولها سلفاً؟

وبعد فرض الوصاية وتدويل القدس «يقوم مجلس الوصاية [التابع للأمم المتحدة] بتعيين حاكم للقدس يكون مسؤولاً أمامه، ويكون هذا الاختيار على أساس كفايته الخاصة دون مراعاة لجنسيته» كما ينص «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١». وسيكون من صلاحيات «حاكم القدس» - وَفُقاً للقرار - ما يلي: «يمثل الحاكمُ الأمَمَ المتحدةَ في مدينة القدس، ويمارس نيابة عنها جميع السلطات الإدارية بما في ذلك إدارة الشؤون الخارجية».

«للمساعدة على استتباب القانون والنظام الداخلي، وبصورة خاصة لحماية الأماكن المقدسة والمواقع والأبنية الدينية في المدينة، يقوم الحاكم بتنظيم شرطة خاصة ذات قوة كافية يُجنَّد أفرادها من خارج فلسطين».

«تكون الهجرة إلى داخل حدود المدينة [القدس] والإقامة فيها بالنسبة إلى رعايا الدول الأخرى خاضعة لسلطة الحاكم وَفْقاً لتعليمات مجلس الوصاية».

«إنْ رأى الحاكم في أي وقت ضرورة ترميم مكانٍ مقدس أو بناء موقع ديني ما، فيجوز له أن يدعو الطائفة أو الطوائف المعنية إلى القيام بالترميمات اللازمة.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، مقال بعنوان: «أبو مازن يُلوّح بطلب الوصاية الدولية على الأراضي الفلسطينية للتخلص من الاحتلال» على الرابط التالي:
http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11722&article=601924

ويجوز له القيام بهذه الترميمات على حساب الطائفة أو الطوائف المعنية إن لم يتلق جواباً عن طلبه خلال مدة معقولة».

«يكون لحاكم مدينة القدس الحق في تقرير ما إذا كانت أحكام دستور الدولة المتعلقة بالأماكن المقدسة والأبنية والمواقع الدينية ضمن حدود الدولة والحقوق الدينية المختصة بها، تطبّق وتُحتَرم بصورة صحيحة؛ وله أن يَبُتَّ على أساس الحقوق القائمة في الخلافات التي قد تنشب بين الطوائف الدينية المختلفة أو من طقوس طائفة دينية واحدة بالنسبة إلى هذه الأماكن والأبنية والمواقع، ويجب أن يلقى الحاكم تعاوناً تاماً ويتمتع بالامتيازات والحصانات الضرورية للاضطلاع بمهماته في الدولة»[1].

فحاكم القدس إذن هو ممثل «الأمم المتحدة» أو «النظام العالمي الجديد» في القدس، ويملك من الصلاحيات والحصانة ما يخوله للتخاطب الدولي مباشرة وتعاطي الشؤون الخارجية، بل يُدخل القدس من شاء من رعايا الدول ويمنع من شاء، ويبني من دور العبادة ما شاء، ويبُتُّ في الخلافات بين أتباع الأديان والطوائف. وأغرب من هذا كله أن شروط اختيار «حاكم القدس» تنص على «ألا يكون مواطناً لأي من الدولتين في فلسطين» فهو إذن لن يكون إسرائيلياً ولا فلسطينياً؛ فماذا سيكون؟

---

(١) انظر نص «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١» باللغة الإنجليزية على موقع «مجلس العلاقات الخارجية» الأمريكي:
http://www.cfr.org/un/un-general-assembly-resolution-181-ii-palestine/p11191

لقد نشرت صحيفة «حَدَشوت» خبراً فحواه اعتراف الروائي والمفكر الفرنسي اليهودي «ماريك هولتر» بأنه تسلَّم في عام ١٩٩٣م رسالة من «بيريز» إلى البابا يعده فيها بتدويل القدس، ومَنْح الأمم المتحدة السيطرة السياسية على القدس القديمة، ومنح الفاتيكان البقاع المقدسة. كما أن الأمم المتحدة ستقوم بدورها بمَنْح «منظمة التحرير الفلسطينية» عاصمة لها في القدس القديمة، وستصبح القدس الشرقية أشبه ما تكون بمنطقة تجارة حرة للدبلوماسية العالمية؛ وهو ما أكدته صحيفة «لا ستامبا» La Stampa الإيطالية[1].

وفي عام ١٩٩٥م سَرَّبت إذاعة «عَروتْس شيبَع» Arutz Sheva (القناة السابعة) برقية بعثتها السفارة الإسرائيلية في روما إلى وزارة خارجية «بيريز» في القدس تؤكد تسليم القدس للفاتيكان، ونُشر نص البرقية على صحيفة «هآرتس» بعدها بيومين فأحدث الخبر ضجة كبرى. اعترف «بيريز» بصحة البرقية؛ لكنه اعتذر بأن أحدهم طمس أداة النفي وأن الأصل هو أن إسرائيل «لن» تسلم القدس لبابا الفاتيكان[2]!

وفي مقال نشرته صحيفة «جيروساليم بوست» اليهودية بعنوان «بيريز يريد التنازل عن البقاع [المقدسة] للفاتيكان» بتاريخ ٤ مايو ٢٠٠٩م، نجد الحديث عن المؤامرة نفسها. ويضيف الخبر الذي ينقل عن تقرير إذاعة الجيش الإسرائيلي أن «بيت هاناسي» («المقر الرئاسي» في القدس) صرح بأن «المحادثات تطاولت بما فيه الكفاية، وأن الوقت قد حان لتقديم تنازلات للفاتيكان والتوصل إلى اتفاق»[3].

(1) http://www.thebarrychamishwebsite.com/newsletters/Pope.html.
(2) http://www.thebarrychamishwebsite.com/newsletters/Pope.html.
(3) http://www.jpost.com/servlet/Satellite?cid=1239710858577&pagename=JPArticle%2FShowFull.

وقد نشرت إذاعة «عروتس شيبع» اليهودية على موقعها خبراً بعنوان «هيمنة إسرائيل على جبل صهيون في خطر» بتاريخ ٢٦ أبريل ٢٠٠٩م يؤكد أن «المؤشرات داخل الفاتيكان وفي الصحف الكاثوليكية تتجه منذ زمنٍ إلى توقُّع أن تنتهي المفاوضات بنجاح لصالح الجانب الكاثوليكي»[١]، بل صرح «بيريز» للبابا «بندكت السادس عشر» أثناء زيارة الأخير لفلسطين قائلاً: «كما تعلم، حاولنا أن ننهي ما نستطيعه قبل زيارتك» «حينها أُوقف التصوير وقُطعت الميكروفونات واستمرت المحادثات بعيداً عن الأنظار»، كما تقول «عروتس شيبع»[٢]. لكن «بيريز» لم ينسَ أن ينعت البابا بقوله: «إننا نرى فيك راعياً للسلام، وزعيماً روحياً عظيماً، وحمَّالاً لرسالة السلام إلى هذه البلاد والعالم أجمع»[٣].

ووَفْقاً لصحيفة «جيروساليم بوست» أعلن «بيريز» في خطاب ألقاه أمام «المؤتمر اليهودي العالمي» بالقدس في شهر أغسطس ٢٠١٠م استعداد «بنيامين نتنياهو» لتنفيذ خطة «حل الدولتين»! بعدها توجه «بيريز» إلى بابا الفاتيكان «ليوافيه بآخر الجهود المبذولة لإنهاء الصراع (الإسرائيلي - الفلسطيني) وتأمين السلام في المنطقة»[٤]. أليس مريباً ذلك الحرص على موافاة البابا بكل ما يستجد في نزاعٍ لا يمثل البابا طرفاً فيه؟ أضف إلى ذلك أن دولة الفاتيكان هي الدولة الوحيدة المعترَف بها دولياً المستثناة من عضوية الأمم المتحدة. لكنها مع ذلك مُنحَت دور المراقب الدائم «permanent observer» الذي يمتلك كل حقوق العضوية باستثناء التصويت[٥]. فما السر في

(1) http://www.israelnationalnews.com/news/news.aspx/131032.
(2) http://www.israelnationalnews.com/News/News.aspx/131302.
(3) http://www.israelnationalnews.com/News/News.aspx/131302.
(4) http://www.jpost.com/MiddleEast/Article.aspx?id=186562.
(5) http://www.un.org/en/members/nonmembers.shtml.

استثناء الفاتيكان من دائرة العضوية وجعلها مراقباً دائماً؟

لقد كشفت مجلة الـ «تايم» Time الأمريكية عام ١٩٤٠م نقلاً عن الـ «جارديان» The Guardian : «أن قوى المحور تخطط لتسليم فلسطين لتكون تحت سيادة الفاتيكان. . . وبناء على الخطة - قالت الـ «جارديان» - سيرعى البابا البقاع المقدسة في فلسطين ويدع لإيطاليا إدارة الدولة [الفاتيكان]»(١). وهذا هو السر وراء تأييد رأس الصليبية «بندكت السادس عشر» قيامَ دولة فلسطينية إلى جانب الدولة الإسرائيلية، وليس من الإشفاق في شيء كما قد يتوهمه البسطاء(٢).

إن ما أردتُ تأكيدَه في هذا المقال هو أن تدويل القدس وجَعْلَها تحت وصاية الأمم المتحدة ما هو إلا صورة مُزوَّقة لعودة الصليبيين إلى بيت المقدس بخيلهم ورَجِلهم؛ ولهذا نص اقتراح «بريجينسكي» على «دولة فلسطينية منزوعة السلاح تضم عسكراً من الولايات المتحدة أو حلف الناتو على طول نهر الأردن يقدم مزيدَ أمنٍ لإسرائيل» (٣). وكأني ببسطاء المسلمين يهتفون حينها «حُرِّر الأقصى!» بينما يقف «راسموسن» على أعتاب المسجد الأقصى قائلاً «الآن انتهت الحروب الصليبية».

إننا أمام محك تاريخي قد يكشف حقيقةً طالما كثر السؤال عنها: أي الفريقين سُخِّر لخدمة الآخر، الصهاينة اليهود أم الروم النصارى؟

---

(1) http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,795047,00.html.

(2) http://www.timesonline.co.uk/tol/comment/faith/article6269490.ece

(3) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2010/04/09/AR2010040903263.html

البهائية: ماذا تريد؟

مجلة البيان - عدد (٢٧٤)

في بداية العشرينات من القرن التاسع عشر ظهرت في بريطانيا على يد الأقلية الحاكمة حركةٌ دينية كاثوليكية خفيَّة تُعرَف باسم: «حركة أكسفورد» The Oxford Movement أو «التراكتارية» Tractarianism أو «البيوزية» Puseyism، وكان هدفها الأول إعادةَ الكاثوليكية إلى بريطانيا بعد ازدهار الكنيسة الأنجليكانية فيها. وقامت هذه الحركة على ما يشبه «التقية»؛ حيث كان القساوسة الكاثوليك يتولَّون مناصب في الكنيسة الأنجليكانية دون أن يعلم الأتباع أنهم على غير مذهبهم. يقول عنهم «والتر والش» في كتابه «التاريخ الخفي لحركة أكسفورد»: «كانوا يَدعون من منابرهم إلى العقائد السائدة للكنيسة الأنجليكانية كما تعلَّموها على مدى ثلاثمائة عام تقريباً. أما في الخفاء، وعند من يثقون به فكانوا يُعلِّمون تلك العقائد والممارسات الرومية التي لم يجرُؤوا على إظهارها أمام الملأ»[1].

---

(1) Walsh, Walter. The Secret History of the Oxford Movement (London: Swan Sonnenchein & Co, Ltd., 1899), p. 3.

ونشطت هذه الحركة في بعض الجامعات البريطانية، وعلى رأسها جامعة أكسفورد، وكانت مظلتها «ماسونية الطقس الاسكتلندي (الإيكوسي)» التي أسسها اليسوعيون الكاثوليك في فرنسا. ويشير الكاتب السياسي المعاصر «روبرت دريفوس» إلى أن هذه الحركة كانت تحالفاً بين الحكومة البريطانية، والماسون، واليسوعيين الكاثوليك. وكانت مهمة رُسُلها أن يزرعوا خلايا «ماسونية الطقس الاسكتلندي» الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم(١).

كان رُسُل حركة أكسفورد إذا دخلوا بلداً مسلماً لا يتجهون إلى تنصيره، بل يمدون يد العون للنِحَل الباطنية في ذلك البلد. وكانت الأسرة الملكية البريطانية الداعمَ الرئيس لهذه الحركات الباطنية بالإضافة إلى مشاهير الساسة من أمثال «بنجامين ديزرائيلي» و«اللورد بالمرستون». وكان أهم مشروع لهذه الحركة في القرن التاسع عشر الميلادي هو دعم النِّحلة البهائية الفارسية.

تُعَدُّ البهائية امتداداً للنِّحلة الباطنية البابية التي أسسها المرزا علي محمد رضا الشيرازي الذي أعلن أنه الباب عام ١٨٤٤م. أما مؤسس البهائية فهو الباطني حسين علي الملقب بـ: «بهاء الله» الذي ادعى في شخصه ما ادعاه النصارى في عيسى - عليه السلام - من أنه رسول الله حلت فيه الروح الإلهية، وهذا من أدلة ارتباط البهائية بأهل الصليب. كما يقول البهائيون بصلب المسيح - عليه السلام - خلافاً لصريح القرآن الكريم؛ وفي هذا ترويج لكفر النصارى. ثم إنهم يزعمون أن دين الباب ناسخ لشريعة المصطفى ﷺ(٢). وليس المقصود هنا تتبُّع عقائد هذه الفرقة

---

(1) Dreyfuss, Robert. Hostage to Khomeini (New York: New Benjamin Franklin House, 1980), p. 114.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١/ ٤١٠ - ٤١٢.

الباطنية الخبيثة؛ فبطلانها بيِّنٌ، ولكن المراد بيان المشروع الأكبر الذي لأجله دُعمت من قِبَل الملكية البريطانية.

في عام ١٨٥٢م اعتُقِل أحد قادة البهائية في إيران بتهمة محاولة اغتيال الشاه، فضُيق الخناق عليهم ونُفِي أشهر القادة البهائيين إلى بغداد ومنها إلى إسطنبول. في هذه الأثناء اتصل قادة البهائية - ومنهم «البهاء»، وابنه عباس أفندي «عبد البهاء» - بالماسونية الاسكتلندية. وفي عام ١٨٦٨م قررت الدولة العثمانية أن البهائية أضحت تشكِّل خطراً محدقاً ولا يمكن منحها حرية الحرَاك، فوضعوا قادتها تحت الإقامة الجبرية في عكا، لكنهم بفضل أصدقائهم الإنجليز في لندن كانوا يظهرون الفينة بعد الفينة.

ومع نهاية القرن التاسع عشر كانت البهائية قد عادت تزدهر ثانية - خصوصاً في إيران - حتى زعم المستشرق «إ. ج. براون» - الذي اعتنى بدراستها - أنها تيار المستقبل في الشرق الأوسط. أما الصليبي الآخر اللُّورد «كُرزون» فأعلن أنها: إن حافظت على انتشارها «فستحل محل» الإسلام في بلاد فارس. وبحلول القرن العشرين أضحى من المعلوم أن البهائية صناعةٌ بريطانية، واتهمتها الدولة العثمانية بمحاولة إقامة كيان لهم في سوريا، فقررت عام ١٩٠٧م طَرْد قادتها خارج تخوم الدولة. وقبل تنفيذ الحكم قامت «حركة تركيا الفتاة» (الطابور الخمس الآخر لماسونية الطقس الاسكتلندي ومحفل الشرق الأعظم) بثورتها الشهيرة التي أمسكت من خلالها بزمام السلطة، وأُطلق سراح «عبد البهاء» من سجنه.

وبعد خروج «عبد البهاء» من السجن اتجه إلى أربابه في لندن ونيويورك ينشر رسالة البهائية، وهناك في لندن منحته ملكة بريطانيا وسام «الفارس القائد في تنظيم

الإمبراطورية البريطانية» مقابل الرسالة التي روَّجت لها البهائية - ولا تزال - خدمةً للصليبية؛ فما هذه الرسالة؟

يمكن تلخيص رسالة البهائية في أنها دعمٌ «للنظام العالمي الجديد»؛ ففي عام ١٧٧٦م تأسس تنظيم الإلوميناتي «المتنورين» اليسوعي؛ وكان الهدف منه إقامة حكومة عالمية رومية صليبية على أنقاض الدول القومية ذات الاستقلال لتُحكَم سياسياً واقتصادياً من عاصمتها المفترضة (القدس). وكان المؤسسون لذلك التنظيم هم مَنْ أسهم في نشر البهائية؛ أعني: اليسوعية الكاثوليكية وماسون الدرجات العليا بدعم من أثرياء اليهود.

لقد عُرف مشروع الحكومة العالمية باسم «النظام العالمي الجديد» وبقي ماثلاً أمام أنظار الصليبيين إلى عصرنا الحاضر؛ حيث يُعرَف الآن بـ: «العولمة»، أو «حركة العصر الجديد»... ونحوهما. وهذا المشروع الصليبي هو عين مشروع البهائية كما ينص عليه قادتها؛ ففي كتاب «منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد» الذي نشرته «مؤسسة النشر البهائية» عام ١٩٧٠م نقرأ ما نصه:

«قد يبدو عدد البهائيين الصغير غير ذي بالٍ إذا ما قورن بعدد أتباع الأديان القديمة، ولكنَّ البهائيين مطمئنون إلى أن القوة الإلهية قد باركتهم بمنحها إياهم امتياز خدمة نظامٍ عالميٍّ جديد سوف تجتمع فيه الأفواج من الشرق والغرب في يومٍ ليس ببعيد»[١].

---

(١) كل النصوص البهائية الواردة مقتبَسة من كتاب: «منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد» (ولمت، إلينوي، الولايات المتحدة: مؤسسة النشر البهائية، ١٩٧٠م)، وفي النصوص المقتبسة ركاكة بيِّنة جرى تجاوزها حفاظاً على الاقتباس كما هو.

وفي رسالة مؤرَّخة بـ ٨ فبراير عام ١٩٣٤م كَتب شوقي أفندي (زعيم البهائية من عام ١٩٢١ - ١٩٥٧م) مبيِّناً هدف المنظومة البهائية ومشروعها:

«إنَّ هذا النظام الإداريَّ [الذي تقوم عليه البهائية] حينما تبدأ أجزاؤه المكوِّنة له، ومؤسساته الأصيلة فيه بعملها بقوَّة وكفاءة سوف يؤكِّد على مُطالبيه، ويعرض قدرته على ألا يكون مجرَّد نواة، بل يكون نموذجاً للنظام العالمي الجديد الذي قُدِّر له أن يحتضن الإنسانية جمعاء عندما يحين الوقت لذلك. . . ».

ويضيف شوقي أفندي قائلاً:

«ولا يقلِّلن أحد من شأن هذا النَّظْم الإلهيِّ الذي لا يزال في عهد طفولته أو يشوِّهنَّ هدفه؛ فالصخرة التي شُيِّد عليها ذلكم النِّظام الإداريُّ هي ما أراده الله للإنسانية في هذا اليوم إرادة محتومة. وإن المنبع الذي يستقي منه إلهاماته هو بهاء الله نفسه لا غيره. . . والهدف المركزي والأساسي الذي يقوم عليه ويحيِّيه: هو تأسيس النظام العالمي الجديد وَفقاً لما أشار به بهاء الله».

بل وَفْقَاً لما أشار به أسياد «البهاء» من الصليبيين. أليس هذا ما دعا إليه «بوش الأب» في خطاب ألقاه أمام الكونجرس بعنوان: «في سبيل نظام عالمي جديد»؛ حيث قال: «إن أزمة الخليج الفارسي (العربي) تُعَدُّ فرصة نادرة للمضي نحو حِقبة تاريخية من التعاون. . . من هذه الأوقات المضطربة سيظهر نظام عالمي جديد، يمكن فيه لأمم العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب أن تزدهر وأن تعيش في وئام. . . في يومنا هذا يعاني العالمُ الجديد مخاضاً»[1].

(1) Douglass, Herbert E., Dramatic Prophecies of Ellen White, p. 98.

وهو كذلك مشروع «أوباما» الذي تحدث عنه «كيسينجر» عندما سئل على تلفاز الـ CNBC عما يرى أنه أهم ما على «أوباما» أن يقوم به؛ حيث قال: «الرئيس المنتخب يتولى مقاليد الحكم في لحظة تشهد اضطرابات في أنحاءَ كثيرة من العالم في آن واحد... سوف تكون مهمته تطوير إستراتيجية شاملة لأمريكا في هذه الفترة؛ حيث يمكن أن يُنشَأ فيها فعلاً «نظام عالمي جديد». إنها فرصة عظيمة»(١).

إن «النظام العالمي الجديد» يسعى إلى القضاء على كل سلطة مستقلة ليُحكَم العالمُ من قِبَل نخبة صليبية تتحكم في السياسة والاقتصاد العالميين. وقد أكدت ذلك عضو الكونجرس «مارجري هولت» عندما رفضت التوقيع على وثيقة «إعلان الاعتماد المتبادل» The Declaration of Interdependence عام ١٩٧٥م قائلة:

«إنه [أي الإعلان] يدعو إلى التنازل عن سيادتنا القومية لصالح المنظمات الدولية. إنه يعلن أن اقتصادنا ينبغي أن يُضبط من قِبَل سلطات دولية. إنه يقترح أن ندخل نظاماً عالمياً جديداً... هل تعجبكم فكرة «سلطات دولية» تتحكم في إنتاجنا ونظامنا المالي؟... إذا ما تنازلنا عن استقلالنا لـ «نظام عالمي جديد» فقد خُنَّا قِيَمَنا التاريخية من حرية وحكم ذاتي»(٢).

ومن أراد أن يطلع على الخطوات الدقيقة والأكيدة التي يُسار عليها لإقامة «النظام العالمي الجديد» فَلْيقرأ تراث البهائية؛ حيث يقول شوقي أفندي في رسالته المؤرَّخة بـ ٢٨ نوفمبر عام ١٩٣١م:

---

(1) http://www.youtube.com/watch?v=KD3BqK-9ZiU

(2) Melvin Stamper Jd. Fruit from a Poisonous Tree (Bloomington, IN: iUniverse, 2008), p. 118.

«نحو هذا الهدف - هدف نظام عالمي جديد إلهيٍّ في منشئه، وشاملٍ في مداه، ومنصفٍ عادل في مبدئه، وتتحدى ملامحُه كلَّ ما عداها - يجب على البشريَّة أن تستحثَّ خطاها، وتكدح إليه كدحاً... إنَّ شكلاً من أشكال الحكومة العالميَّة يجب أن يتطوَّر؛ فتتنازل من أجله جميع أمم العالم طوعاً عن جميع ادِّعاءاتها في شنِّ الحروب، ويكون له حقُّ فرض الضرائب وتحديد السلاح واقتصاره على حفظ الأمن الداخلي ضمن حدود سيادته[1]. ومثل هذه الحكومة يجب أن تضمَّ ضمن إطارها هيئة تنفيذية عالمية تستطيع أن تفرض سلطتها العليا التي لا ينازعها فيها أحد على كلِّ عضوٍ معاندٍ من أعضاء الجامعة الدولية. وإنَّ محكمةً عُليَا[2] تكون أحكامها ملزِمة للفرقاء المعنيِّين حتَّى في الحالات التي يمتنع فيها أولئك الفرقاء عن عرض قضيَّتهم عليها طوعاً، وإنَّ جامعة عالمية تُلغَى فيها جميع الفوارق الاقتصادية إلغاءً أبدياً، وفيها يُعتَرَف اعترافاً واضحاً باعتماد رأس المال والعمل أحدهما على الآخر، وفيها يهدأ إلى الأبد ضجيج الحروب والتعصبات الدينية، وفيها تُطفأ جميع نيران التعصبات القوميَّة إطفاءً نهائياً، وفيها يقوم قانونٌ دوليٌّ واحد هو ثمرة أحكام الممثِّلين العالميين المتحدين بالمصادقة على تلاحم جميع قوى الوحدات المتحدة، وأخيراً يتحوَّل فيها هياج القوميات المتحاربة المتقلِّبة في أطوارها إلى وعي بالمواطنة العالمية. هذه كلُّها - في الواقع كما يبدو - هي الخطوط العريضة لنظامٍ تنبَّأ به بهاء الله...»[3].

---

(١) هذا يفسر حرص الدول الرومية على عدم انتشار السلاح فلا تنازعها قوة أخرى.

(٢) تذكر - أيها القارئ الكريم - أن هذا قيل عام ١٩٣١م؛ أي قبل تأسيس محكمة العدل الدولية بأربعة عشرة عاماً؛ فمن أين لهؤلاء معرفة ذلك؟ أم هي من كرامات الأولياء؟

(٣) لا شك أن زعماء البهائية كانوا على اطلاع على تفاصيل ما يحاك ضد الإسلام من قِبَل الصليبيين.

وأَصرَح من هذا ما كتبه في رسالته المؤرَّخة بـ ١١ مارس سنة ١٩٣٦م؛ وهي رسالة جديرة بالدراسة والتمحيص؛ إذ إننا نَلِجُ العالم الذي وعدت به (أو خططت له):

«إنَّ هيئةً تنفيذية عالمية تسندها قوَّة دولية سوف تنفِّذ القرارات التي تُصدِرُها هيئة التَّشريع العالميَّة وتطبِّق القوانين التي تشرِّعها وتحرس الوحدة الأساسية لرابطة الشعوب العالمية بمجموعها، وإنَّ محكمةً دوليةً سوف تقاضي وتُصدِر قرارها النِّهائي الإلزاميَّ في جميع المنازعات التي تنشُب بين العناصر المختلفة المكوِّنة لهذا النظام العالمي، وسوف تبتكر وسيلةً للاتِّصالات الدولية تحتضن جميع الكرة الأرضية، وتكون متحرِّرة من العوائق والقيود القومية، وتقوم بوظائفها بسرعة رائعة وبانتظام تامٍّ[1]، وستكون عاصمةٌ عالميةٌ المركزَ العصبيَّ لحضارة عالمية والنقطةَ التي فيها تتجمَّع جميع القوى الموحِّدة للحياة، ومنها يَشِعُّ نشاط نفوذها الفعَّال[2]. وإنَّ لغةً عالمية سوف تُختَرَع أو تُنتَخَب من بين اللغات الموجودة في العالم وتدرَّس في مدارس جميع الأمم المتحدة باعتبارها لغةً مساعدة إلى جانب اللغة الأم[3]، وإنَّ

---

(١) هذا يبيِّن لنا هدف «العولميين» من توسيع نشر خدمة الشبكة العنكبوتية - على ما فيها من حسنات - في أنحاء العالم حتى الدول الفقيرة.

(٢) سبق أن ذكرت في مقال سابق أن هذه العاصمة هي «القدس» التي يخطَّط لتسليمها للكنيسة الرومية الكاثوليكية بزعامة البابا، ولكن تحت قناع منظمة الأمم المتحدة.

(٣) قامت محاولة لتأسيس لغة عالمية تدعى «إسبرانتو» Esperanto على يد «لودوفيتش زامنهوف» في السبعينات من القرن التاسع عشر، والذي اعتنقت ابنته «ليديا» البهائية عام ١٩٢٥م. أما المحلل السياسي «دريفوس» فيؤكد في كتابه «رهينة الخميني» على أن مخترع لغة «إسبرانتو» تزوَّج إحدى بنات «عباس أفندي»، عبد البهاء. ولا شك أن الأمر ليس من قبيل الصدفة. لكن لا أدري أيحاول العولميون نشر هذه اللغة لتصبح عالمية أم سيُكتفى باللغة الإنجليزية التي اكتسحت العالم أجمع، وهو الأرجح.

خطّاً عالمياً، وأدباً عالمياً، ونظاماً عالمياً موحَّداً للنقد[1] والموازين والمكاييل سوف يُسهِّل اختلاط الأمم والأجناس ويجعله بسيطاً يسيراً. وفي مثل هذه الجامعة العالمية سوف يتفق الدين والعلم باعتبارهما القوَّتين المؤثِّرتين في الحياة البشرية، وسوف يتعاونان ويتطوران بكلٍّ وفَاق، وسوف لن تعود الصحافة تحت نظام إداريٍّ مثل هذا النظام؛ لتكون أداة تُستَغَل استغلالاً سيئاً مضرّاً لخدمة مصالح معيَّنة شخصيَّة أو عمومية، وسوف تتحرر من نفوذ الحكومات المتناحرة والشعوب المتعادية وتُمنَح أقصى المدى في حرية التعبير عن الآراء المتنوعة والمعتقدات المتباينة، وسوف تنظَّم المنابع الاقتصادية في العالم، وتُستَثمَر منابع المواد الخام استثماراً كاملاً وتُرتَّب وتُطوَّر أسواقها وينظَّم توزيع منتجاتها تنظيماً عادلاً».

فهل بقي لذي لُبٍّ أدنى شك في أن ثمة مؤامرة تحاك؟ إن البهائية التي أخذت على عاتقها الدفاع عن أهل الصليب منذ نشأتها يجب ألا يُنظر إليها كجماعة باطنية خارجة عن الملة وحسب، بل هي طابور خامس يفوق نفوذُه السياسي نفوذَه العقدي، ومشروعها الأكبر هو دعم الصليبيين ليحكموا بيت المقدس ثانية تحت مظلة أمم متحدةٍ. وهل مراكزهم الإدارية وأضرحتهم التي تبدو كالقصور على تراب «حيفا» إلا من أجل رعاية المشروع عن كثب؟

---

(١) جرت اتفاقية حديثة بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك لتأسيس «اتحاد أمريكا الشمالية»، وستسمى وحدته النقدية «أميرو» على غرار الـ«يورو».

النصيرية والحدَب الأمريكي

مجلة البيان - عدد (٢٩٦)

في الرابع والعشرين من أكتوبر عام ٢٠١١م نشر «مجلس العلاقات الخارجية» تقريراً وجيزاً بعنوان (American Options in Syria) أو «الخيارات الأمريكية في سورية»[١]. انفرد بإعداد هذا التقرير «إليوت أبرامز» النائب الأسبق لمستشار الأمن القومي لشؤون الشرق الأوسط في إدارة بوش، والباحث في شؤون الشرق الأوسط بالمجلس.

القارئ للتقرير يلمس بين سطوره حَدَباً وقلقاً أمريكياً على النِّحلة النصيرية الباطنية التي تتولى كِبر المذابح الشنيعة التي ترتكب بحق أهل السنة في سورية. فقد استهل الكاتب تقريره بالحديث عن تزايد احتمال نشوب حرب أهلية واسعة النطاق بين «نظام تابع للأقلية العلوية[٢] [النُّصيرية] يقاتل من أجل البقاء، وتمرُّد مسلح من قِبَل قوات متمركزة في المناطق ذات الأغلبية السُّنية». هكذا اختزل الكاتب نضال

(1) http://www.cfr.org/syria/american-options-syria/p26226.

(٢) هكذا يرد اسم الطائفة النصيرية عند الكتَّاب الغربيين، وهو من التلبيس.

الشعب السوري المسلم في «تمرُّد مسلح» في وجه «أقلية علوية تقاتل من أجل البقاء».

ولما عيل الصبر وهبَّ بعض أهل السنة يذودون عن حياضهم رفعت الولايات المتحدة عقيرتها زاعمة أنها يئست من وعود الحكومة السورية بالإصلاح والتحول الديمقراطي وأن السياسة الأمريكية ينبغي أن توجَّه - كما ينصح التقرير - لتحقيق الأهداف التالية: أولاً: وقف العنف؛ وكأن قتل الأبرياء طوال عام لم يكن عنفاً. ثانياً: إسقاط نظام الأسد، وليس النظام النصيري. وأخيراً: «وضع الأسس لنظام ديمقراطي مستقر يضمن حماية الأقليات العلوية والكردية والنصرانية».

ثم يشير الكاتب إلى أن «الهدف الأمريكي والأوروبي والتركي» المشترك أصبح «إنهاء حكم عائلة الأسد» على وجه التحديد دون النظام النصيري. ثم يتساءل الكاتب: ولكن كيف يتمكن صناع السياسة الأمريكية من تحقيق هذا الهدف في أقصر وقت وبأقل قدر ممكن من العنف؟ والجواب هو انتهاج «إستراتيجية تهدف إلى إضعاف قواعد الدعم لدى النظام وتشجيع المعارضة على إبراز رغبتها في سورية ديمقراطية غير طائفية». وهذه مناورة غربية لاستنقاذ الأقلية النصيرية الباطنية المجرمة وإخراجها من قفص الاتهام في ظل شعارات ديمقراطية زائفة.

ثم يضيف التقرير أن الخطوة الأُولَى التي ينبغي أن تقوم بها الولايات المتحدة لإسقاط نظام الأسد هي عزل أسرة الأسد عن بقية «العلويين» الذين «ليس لهم نصيب في الثروة التي وزعها الأسد بين المقربين إليه». وحتى تذوب الخلافات بين الشعب السوري السني المجاهد وعصابات النصيرية الباطنية فإن على الولايات المتحدة أن تستمر في الضغط على الجماعات المعارضة لنظام الأسد لتظهر بـ «وجهٍ موحَّد». وهذا الوجه قد بدت إرهاصاته في «المجلس الوطني السوري» برئاسة «برهان غليون».

أما مهام «المجلس الوطني السوري» كما يريدها الغرب الصليبي فلا تعدو دور الوسيط بين الغرب والشعب. ومن أهمها «التأكيد المتكرر على التزام المجلسِ المساواةَ في معاملة كل السوريين دون اعتبار للطائفة أو العقيدة، وأن يُدخِل في صفوفه بشكل واضح علويين وغيرهم ممن ليسوا من أهل السنة. وعلى المجلس أن يشجب بصوتٍ عالٍ وحماسٍ عاطفيٍّ كل أشكال العنف ضد المواطنين أو المجتمع العلوي، فقد يتزايد هذا العنف بتزايد المواجهات المسلحة بين النظام والمعارضة. كما أن على المجلس أن يتعهد بأن «سورية ما بعد الأسد» ستحمي كل الأقليات العلوية والكردية والجاليات النصرانية القلقة جداً. كما أن عليه أن يوافق الآن على دورٍ دولي لتقديم هذه الحماية والضمانات [وهذا يعني التدخل الأجنبي]. وكلما كانت هذه التعهدات أكثر تفصيلاً، وحظيت بالدعم إعلامياً ودولياً، كلما كانت أبلغ إصلاحاً في الداخل السوري». هذا إذن هو دور المجلس الوطني الذي تُعلَّق عليه الآمال.

أما على صعيد الجيش والشرطة فإن على المسؤولين الغربيين والأتـراك أن يضغطوا على جنرالات العلويين للانشقاق عن النظام، وأن يقنعوهم بأنه بإمكانهم «إنقاذ مستقبلهم ومستقبل طائفتهم بعد سقوط نظام الأسد إذا ما امتنعوا الآن عن قتل مواطنيهم».

ثـم يزعم الكاتب أن الجيش الأمريكي لا تربطه علائق بـهؤلاء الجنـرالات النصيريين؛ لكنه قد يستعين بالأتراك والأردنيين وربما الفرنسيين الذين يمتلكون قنوات خاصةً لإيصال تلك الرسائل إلى أولئك الجنرالات. فينبغي أن يؤكدوا على رسائل مثل: «لِمِ تُضَحي بنفسك من أجل عصابة الأسد الهالكة على أي حال؟» أو «انج بنفسك!» مع الاستعانة بتصريحات مطَمْئنة من قبل المجلس الوطني السوري؛ «فلا بد أن يصرح المجلس بأنه لن يكون ثمة تطهير شامل للضباط العلويين» بل

ستُجرى محاكمات للمتورطين فقط في قتل المدنيين، وهكذا تضيع دماء الأبرياء في دهاليز المحاكم المحلية والدولية، فيكون المجرمون أسعد حظاً بالحنان الدولي من الضحايا.

أما الخطوة الثانية لإسقاط نظام الأسد فهي إثارة طبقة رجال الأعمال من السنة والنصارى والنصيريين ضده عن طريق إقناعهم بأن نظام الأسد ورقة محترقة - كما يقال - وأن التعلق بها سيعود بالضرر الاقتصادي على الموالين له من أصحاب رؤوس الأموال مهما كانت انتماءاتهم العقدية. وهو سعي لفصل الطائفة النصيرية عن النظام الحاكم قبل أن يفوت الأوان.

غير أن التقرير لا يُغفِل خياراً يعدُّه ممكناً؛ وهو قيام نظام علوي (نصيري) بديلٍ لا يرأسه بشار ولا غيره من عائلة الأسد. وقد يتحقق هذا الخيار إذا ما قام انقلابٌ على الحكم من داخل الطائفة النصيرية، لكن لا ينبغي أن يكون هذا هدفاً أمريكياً. يعلل التقرير العزوف عن هذا الخيار أو على الأقل عدم جعله من الأولويات أن نظام الأسد قد خسر ثقة الشعب السوري، ومن الصعب أن يُتصور نجاح نظام نصيري بديل في استعادة هذه الثقة، كما أن قيام نظام نصيري سيضم عناصر ذات سابقة إجرامية ضد الشعب السوري، وهكذا سيظل الحكم بيد أقلية نصيرية لن تفوز في انتخابات نزيهة، بل قد تضطر إلى استعمال القوة ثانية، وهو ما سينتج عنه استمرار الاضطرابات والعنف. لكن «نظاماً علوياً بديلاً يزيل عشيرة الأسد من السلطة ويخطو خطوة انتقالية واضحة نحو الديمقراطية يمكن له أن يكون نافعاً في إنهاء العنف ودفع عجلة التقدم، لكن بشرط تحديد مدَّته وطموحاته. وسيكون المسؤولون [في ذلك النظام النصيري البديل] بحاجة إلى أن يبينوا للجماهير والتحالف الدولي - الذي

يفرض عقوباته على سورية وينتقدها - صدق نواياهم وجدولهم الزمني القصير، وليس هذا ببعيد».

إن ورقة الأقليات داخل المجتمعات السنية ستبقى ورقة ثمينة في أيدي الدول الغربية الصليبية، ولن تسمح تلك الدول بإحراقها مهما كلف الأمر. والطائفة النصيرية إحدى تلك الأقليات التي سيُحرَص على إبقائها داخل جسد الأمة السورية وإن سقط بشار، ولن تنتعش هذه الفرق الضالة إلا في ظل حكومة مدنية علمانية لا تقيم للدين وزناً ولا تطبق شرع الله فيتساوى فيها أهل الإيمان وأهل الأهواء، وهذا ما يسعى إليه الغرب باسم الديمقراطية والحرية.

جنوب السودان على أعتاب دولة رومية كاثوليكيَّة

مجلة البيان - عدد (٢٨٢)

هناك في جزيرة مالطة، موطنِ الفرسانِ الإسبتارية، كان أحد القساوسة الكاثوليك - «أنيتو كاسولاني» - يَجمع ما استطاع من أخبار حول أعالي النيل. كان مشروعه يهدف إلى إرسال حملة تنصيرية تجعل من النِّيل طريقاً سريعاً لتنصير إفريقيا الوسطى. عرض «كاسولاني» مشروعَه على البابا «جريجوري السادس عشر» عام ١٨٤٦م فاستحسنه؛ بل أمر بإقامة «الأسقفية التبشيرية [التنصيرية] في إفريقيا الوسطى» تحت إشراف البابا مباشرة. أما «كاسولاني» فكُلِّف بمهمة نشر النصرانية في السودان وحوض النيل ومناطق شاسعة إلى الجنوب والغرب(١).

حطت أول البعثات التنصيرية رحالها في الخرطوم عام ١٨٤٨م. أما في جنوب

(1) Nthamburi, Zablun. From Mission to Church (Uzima Press, 1991), p. 48.

السودان فتأسست أول إرسالية عام ١٨٥٢م في «غُندكرو»[١]. لم يرحب جوُّ السودان بأولئك المنصِّرين؛ فقد هلك منهم ستة وأربعون بين عامَي ١٨٤٨ و ١٨٦٢م. فلما خشي البابا على رُسله أمر بإيقاف الإرساليات ولم يتبقَ منهم سوى اثنين من أعضاء التنظيم الفرانسيسكاني لحماية ممتلكات المنصِّرين، أما البقية فانسحبوا إلى الأراضي المصرية.

لكن مشروع «كاسولاني» لم ينتهِ بذلك؛ ففي عام ١٨٦٤م استأنف المشروعَ المنصِّر الكاثوليكي القديس «دانيال كمبوني» وهو أحد المنصِّرين الذين أُعيدوا إلى أوطانهم بعد أن أسقمهم حَرُّ السودان. لقد تعلَّم «كمبوني» درساً عملياً أن إفريقيا لا يمكن أن يُنَصِّرها الأوروبيون بمفردهم دون توظيف الطاقات المحلية. وفعلاً نشر فكرته بعد أن باركها البابا، وبدأت مراكز تدريب الكاثوليك الأفارقة على السواحل التي كان يقيم بها المنصِّرون. وفي عام ١٨٦٧م أنشأ معهداً في مدينة «فيرونا» الإيطالية لتدريب القساوسة والمنصِّرين الذين يعملون في إفريقيا الوسطى، كما أنشأ مدارس وكليات في القاهرة والخرطوم. وكان من تلاميذه «دِينق سرور» أول قسيس كاثوليكي من جنوب السودان[٢]، و «بخيتة كواشي» (التي صارت تعرف بـ «فورتوناتا كواسكي» Fortunata Quasce)، أول راهبة كاثوليكية سودانية[٣].

---

(١) بدأت أول مساعي البابوية عام ١٦٧١م عندما أقام البابا إرساليات نصرانية في صعيد مصر للتواصل مع أتباعه في تلك البقاع. ولكن لانعدام الوجود النصراني هناك آثرت الإرساليات البابوية التوجه إلى إثيوبيا. خلال تلك المرحلة جمعت الإرساليات معلومات قيمة عن السودان.

(2) Hill, Richard Leslie. The Opening of the Nile Basin (Barnes & Noble Books, 1975), p. 196.

(3) http://www.dacb.org/stories/sudan/bakhita_kwashe.html

استمرت جهود المنصِّرين بين مدٍّ وجزرٍ بعد أن نجحوا إلى حد كبير في توظيف سياسة «كمبوني» القائمة على تنصير إفريقيا من قِبَل الأفارقة. لكنَّ جنوب السودان الذي طالما استعصى على المنصِّرين بطبيعته الطاردة أصبح محط أنظار الكنيسة الكاثوليكية التي رأت فيه حلم إقامة دولة كاثوليكية رومية تكون قاعدة للبابوية في إفريقيا. وقد صرح بهذا الجنرال الصليبي «ريجينالد وينجيت» Reginald Wingate - خليفةُ الجنرال «هربرت كيتشِنَر» وأحدُ فرسان «التنظيم المبجل للقديس يوحنا» المتفرع عن فرسان مالطة - عندما أشار إلى «رغبته في رؤية جنوبٍ نصرانيٍّ يعادل قوة الإسلام في الشمال»[1]، يعني شمال السودان.

ليست هذه المرةَ الأولى التي تحاول فيها روما عزل منطقة مَّا لتقيم عليها «دولة كاثوليكية» «تَدُرُّ لبناً وعسلاً»؛ فقد كانت لها تجربة مماثلة في «الباراغواي» التي هي اليوم كاثوليكية رومية بامتياز. يحدثنا «ثيودور جرايسينجر» في كتابه «تاريخ اليسوعية» أنه بعد أن حطت ركائب المنصِّرين اليسوعيين الكاثوليك في الباراغواي قادمة من إسبانيا والبرتغال اجتمع بهم الأب «ستيفان بايز» عام ١٦٠٢م وبلَّغهم وصية جنرالهم في روما بضرورة «إقامة دولة نصرانية [كاثوليكية] حقيقية ومستقلة في الباراغواي، يحكمها الجنرال اليسوعي في روما»[2].

كان سكان الباراغواي يتألفون من قبائل تعبد الأسلاف وتتعلق التمائم وتقدس السحرة والعرافين تماماً كما هو الحال بين القبائل الوثنية في جنوب السودان. أما عن طباعهم فيقول «إدموند باريس»: «كان سكان تلك البلاد من الهنود الرُّحَّل الطيِّعين؛ يركع أحدهم لأي سلطة ما دامت تقدِّم له كفايته من الطعام وشيئاً من

(1) Nthamburi, Zablun. From Mission to Church, p. 59.
(2) Griesinger, Theodor. The Jesuits: A Complete History, p. 136.

التبغ»[1]. فكان أول ما قام به المنصِّرون أن تألَّفوا قلوب هؤلاء البسطاء متظاهرين بالحرص على مصالحهم، والدفاع عن حقوقهم، ومواجهة خصومهم المستبدين من الإسبان والبرتغاليين.

اعتمد المنصِّرون في سبيل السيطرة على الباراغواي وإقامة الدولة الكاثوليكية على سياسة المناطق المقفلة؛ حيث عُزل الهنود الحمر الوثنيون عن الإسبان والبرتغاليين بحجة أن اختلاطهم بهم قد يفسدهم ويتسبب في إقلاق أمنهم. كما مُنعوا من الحديث بغير اللغة المحلية «الغوارانية». ثم بدأ استغلال هؤلاء البسطاء من قِبَل المنصِّرين فجَنَوا من كدحهم أموالاً طائلة حتى غارت منهم ممالك أوروبا حينئذٍ.

إن هذا المشهد بتفاصيله يتكرر في أحداث جنوب السودان. فالاستفتاء ليس خياراً وإنما هو تتويج للمشروع البريطاني الصليبي الساعي إلى «رؤية جنوبٍ نصرانيٍّ يعادل قوة الإسلام في الشمال»؛ وهو ما نشط له المنصِّرون بطبيعة الحال. فسياسة المنصِّرين اليسوعيين في الباراغواي لإقامة دولة كاثوليكية هي السياسة التي سارت عليها بريطانيا لإقامة دولة صليبية في جنوب السودان.

لقد بدأت بريطانيا منذ عام ١٩١٠م بالعمل على عزل سكان جنوب السودان عن المؤثرات العربية والإسلامية كما عُزل الهنود الحمر في الباراغواي عن التأثيرات الخارجية المتمثلة في الإسبان والبرتغاليين. وفي عام ١٩٢٢م صدر ما يعرف بـ«قانون المناطق المُقفَلة» الذي حرَّم دخولَ غير السودانيين إلى داخل مناطق معيَّنة، بل منع انتقال مواطني الشمال إلى الجنوب ومواطني الجنوب إلى الشمال[2].

(1) Paris, Edmond. The Secret History of the Jesuits, p. 56.
(2) Sudan Almanac, (Republic of the Sudan, 1951), vol. 1937, p. 63.

وكما مُنع سكان الباراغواي من الحديث بالإسبانية التي تربطهم بأوروبا أصدر السكرتير الإداري البريطاني والمستشرق «هارولد ماكمايكل» عام ١٩٣٠م مذكرة أكد فيها على أن القبول باستمرار العربية في الجنوب سيؤدي إلى انتشار الإسلام؛ وهو ما يضيف إلى الشمال المتعصب - على حد قوله - منطقة لا تقل عنه في المساحة. ليس هذا فحسب، بل زعمت مذكرة أخرى أن اللغة العربية المنتشرة في الجنوب عسيرة الفهم وأقرب إلى الرطانة، وبناء عليه شُجِّع الموظفون على دراسة اللهجات المحلية، ومن لم يحسنها لجأ إلى الإنجليزية[1]. وهذا عين ما صنعه المنصِّرون في الباراغواي؛ حيث فرضوا على الهنود الأصليين الحديث باللغة الغوارانية المحلية فقط.

إن المتتبع للحَراك التنصيري في جنوب السودان يدرك أن الاستفتاء الشعبي القائم ليس إلا إضفاءَ شرعيةٍ على دولة كاثوليكية في جنوب السودان وإعلاناً لقاعدة صليبية تحقق حلم البابوية في جعل النِّيل طريقاً سريعاً لتنصير إفريقيا الوسطى والحد من انتشار الإسلام. لقد كتب «اللورد كيتشِنر» في مذكرةٍ عام ١٨٩٢م قائلاً: «ما لم تعضَّ القوى النصرانية بنواجذها على نصيبها من إفريقيا فإن العرب المحمديين [المسلمين] سيخطون هذه الخطوة، وسيصبح لهم مركز في وسط القارة يستطيعون منه طرد كافة التأثيرات الحضارية إلى الساحل، وستقع البلاد في عبودية وفوضى كما هو الحال في السودان»[2].

---

(1) Collins, Robert. Civil War and Revolution in the Sudan (Tsehai Publishers, 2005), p. 276.

(2) Zeleza, Tiyambe. The Roots of African Conflict (Ohio University Press, 2008), p. 87.

إن قساوسة الروم لا يريدون للسودان أن يتوحد؛ فهذا «المكتب اليسوعي لخدمة اللاجئين» Jesuit Refugee Service ينقل عن كبير الأساقفة الألماني الكاثوليكي «إروين جوزيف إندر» قوله أثناء زيارته لجنوب السودان: «قد تكون هذه المرةَ الأخيرةَ التي أزور فيها سوداناً موحداً. . . إن الشمال لم يقدم للجنوب شيئاً»[1]. كما صرح الأسقف «أركَنيلو واني» التابع لإرسالية إفريقيا الداخلية أن «زمان الوحدة قد ولّى»[2]. أما الأسقف «هيلاري قرنق دِينق» فعبَّر عن الوضع بقوله: «لقد حاولَت الخرطومُ بلع الجنوب، لكن النصرانية وقفت معترضة في حلقها فأجبرتها على التقيؤ»[3].

إن رُسُل البابا الذين غيروا معالم الباراغواي هم الآن في جنوب السودان للغرض نفسه. فها هو «المكتب اليسوعي لخدمة اللاجئين» يتحدث عن جهوده قائلاً: «عندما توجه «المكتب اليسوعي لخدمة اللاجئين» إلى جنوب السودان في نهاية التسعينات من القرن الماضي شارك أفرادُه في الحديث عن الرعب الذي يعيشه المهجَّرون الذين حصرتهم الحرب الأهلية. ومع بزوغ عام ٢٠١١م لا يزال «المكتب اليسوعي لخدمة اللاجئين» في جنوب السودان يصحب الشعب في زمن السلام كما في زمن الحرب . . . إن السودان على مفترق سلسلة من الخِيارات يمكن أن تكون تدشيناً لمؤسسة ذات مستقبل واعد»[4]؛ فهل هذه المؤسسة الواعدة هي الدولة

(1) http://www.jrsusa.org/news_detail?TN=NEWS-20101221110224
(2) http://www.bibleleague.ca/news-detail-inter.php?id=194
(3) http://www.booksandculture.com/articles/webexclusives/2010/november/surprisessudan.html
(4) http://www.jrsusa.org/Prayers_Detail?TN=DTN-20101216111903

الكاثوليكية الجديدة؟

لقد افتتح اليسوعيون قبل ثلاثة أعوام «مدرسة لويولا الثانوية» Loyola Secondary School في مدينة «واو»[١]. وها هم يعلنون افتتاح أول جامعة كاثوليكية يسوعية في جنوب السودان يؤسسها الأب اليسوعي «شولتيز»[٢] بعد دعوة من البابا «بندكت السادس عشر» الذي أسرَّ إلى كبير أساقفة الخرطوم «زُبير واكو» قوله: «إن معاناة جنوب السودان التي تخفى على كثيرين لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعليم...»[٣]. وهذا التعليم ليس إلا حلقة في مشروع استعمار الجنوب قال عن مثيله «إدموند باريس»: «لقد قام تعليم سكان الباراغواي الأصليين على المبادئ نفسها التي طبقها الآباء [الكاثوليك] ويطبقونها الآن وسيطبّقونها في كل زمان ومكان»[٤].

ختاماً، على الرغم مما اكتنف الوحدة من عوائق وحروب أهلية كان المنصِّرون أكبرَ المروجين لها، إلا أن الحقيقة هي أن السودان تنازل لروما - طوعاً أو كرهاً - عن مقاليد أرضٍ مسلمةٍ «تدر لبناً وعسلاً» سرعان ما تنهض دولةً كاثوليكيةً يقودها «سلفا كير» «النصراني المتشدد والخطيب المألوف بالكاتدرائية الرومية الكاثوليكية في «جوبا»» كما وصفته الـBBC[٥].

(1) http://www.nwjesuits.info/ACTS/archives/52
(2) http://ncronline.org/news/global/catholic-university-launches-sudan
(3) http://www.gurtong.net/ECM/Editorial/tabid/124/ctl/ArticleView/mid/519/articleId/1761/categoryId/4/Pope-Benedict-XVI-to-Support-Education-in-South-Sudan.aspx
(4) Paris, Edmond. The Secret History of the Jesuits, p. 58.
(5) http://www.bbc.co.uk/news/world-africa-12107760

إن مشهد الاستفتاء يبعث السرور في قلوب الروم من أمثال «كارتر» و «كيري» و «كلينتون»، لكنه بلا شك يَحزُن أهل الإسلام؛ فقد فرط الدعاة إلى الله في دعوة بسطاء الجنوب الوثنيين يوم كانوا يُقبِلون على دين الله أفواجاً، حتى ضُرب بينهم بسور له باب لا يلجه إلا أهل الصليب.

الأزمة المالية... قراءة جديدة

مجلة البيان - عدد (٢٦٢)

في مقال نشر في ١٩ فبراير ٢٠٠٧م بعنوان «الكنائس تدعم خطة للتوحد تحت البابا»[1] أفصحت «التايمز» عن عزم الكنيسة الإنجليزية (الأنجليكانية) على العودة تحت كنف البابوية، بعد كل الدماء التي سفكتها الكنيسة الرومية عبر خمسة قرون - تقريباً - في سبيل جعلها مملكة كاثوليكية. وكان كثيرون يستبعدون مثل هذه التحول التاريخي، لكن الواقع أثبت خلاف ذلك. ففي خبر بعنوان «البابا يؤسس بناء للأنجليكان الذين يتحدون بروما» نشرته وكالة الأنباء الكاثوليكية CNS في ٢٢ من أكتوبر الماضي ٢٠٠٩م، قام البابا بتأسيس نظام لاهوتي خاص يمكنه استيعاب القساوسة الأنجليكان الذين أبدوا رغبتهم في العودة إلى الكنيسة الكاثوليكية. هذا التحالف أعلن عنه الكاردينال الأمريكي «ويليام ليفادا» في مؤتمر صحفي عقد في الفاتيكان في العشرين من أكتوبر ٢٠٠٩م، وعبر عن سعادته بقوله: «لقد كان

---

(1) http://www.timesonline.co.uk/tol/comment/faith/article1403702.ece.

الهدف الرئيس دائماً أن نحقق وحدة تامة وظاهرة»[1].

لكن الأهم من هذا هو تنازل العرش البريطاني صراحة عن شرط «الأنجليكانية» لمن يجلس عليه بعد قرار ملكي أيدته دول الكومونولث بإجراء تعديلات على «قانون الاستخلاف»؛ وقد تم هذا بشكل مراوغ لا يتنبه له إلا من تابع هذا الشأن. فنصَّ التعديلُ - بحجة حرية التدين - على منح الملك أو الملكة حرية الزواج من كاثوليكي أو كاثوليكية بعد أن كان ذلك محظوراً. أي أن الملكة التي تتبع الكنيسة الأنجليكانية يمكنها الزواج من كاثوليكي؛ وهذا يعني - إذا ما تجاوزنا «اللف والدوران» في صيغة القرار الملكي لقانون الاستخلاف الجديد - أن ملك أو ملكة بريطانيا يمكن أن يكونا من الكاثوليك[2]. وهو بلا شك انتصار كبير للكاثوليكية الرومية على «الثورة الإنجليزية المجيدة» عام ١٦٨٨م التي طرد بها الإنجليزُ البروتستانت الملك الكاثوليكي «جيمس الثاني» ونصَّبوا الهولندي البروتستانتي «ويليام الثالث» مكانه، وصدر حينها قانونٌ يُحرِّم على أي كاثوليكي الجلوس على العرش الإنجليزي. وهذا يجعل المرء يتساءل حول سبب عدم تكافؤ الأمير ويليام وزوجته التي تُعَد من العامة. أكان ذلك تمهيداً لهذا؟

إن الراصد لأخبار الكنيسة الرومية يجد أنها لا تزال تسعى بكل ما أوتيت من قوة لضم كل الكنائس تحت سلطتها كخطوة تجاه السيطرة التامة وتحقيق «النظام العالمي الجديد». كما أنها تُجيِّر الأحداث التي يمر بها العالم للتأكيد على هذا المعنى الذي يصوَّر للبسطاء على أنه دعوة إلى السلام. فقد دعا البابا الهالك «يوحنا بولس الثاني» صراحة - كما أكدت صحيفة الـ «جارديان» - إلى إقامة «نظام عالمي

(1) http://www.catholicnews.com/data/stories/cns/0904673.htm.

(2) http://www.bbc.co.uk/news/mobile/uk-15492607.

جديد» بحجة أن «الأمم المتحدة» عاجزة عن إيقاف الحرب الأمريكية ضد العراق[1].
وفي مقال نشرته «نيويورك تايمز» بعنوان «البابا يحث على إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد يعمل لأجل الصالح العام» بتاريخ ٧ يوليو ٢٠٠٩م، أكد البابا الحالي «بندكت السادس عشر» على ضرورة «إقامة سلطة سياسية عالمية حقة» تشرف على الاقتصاد العالمي[2].

أما «المقترح» المقلق حقاً الذي أصدره الفاتيكان منذ أسابيع، والذي سأتحدث عنه بعد قليل فيجعل المرء يعيد النظر في الأسباب الحقيقية وراء الأزمة الاقتصادية التي يمر بها العالم بأسره. ولعلي أُذكر القارئ أنها ليست المرة الأولى التي تنطلق فيها أزمة اقتصادية عالمية من الولايات المتحدة - الإمبراطورية الرومية بالنيابة - لتعم أرجاء العالم. ففي أثناء ١٩٢٩ - ١٩٤٠م اجتاحت العالم أزمة عرفت بـ «الكساد العظيم» وكانت نشأتها في الولايات المتحدة بسبب سقوط سوق الأسهم في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩م الذي عرف بـ «الثلاثاء الأسود»، لكنها سرعان ما تفشت في العالم كله. كان المتسبب المباشر في تلك الأزمة هو «بنك الاحتياطي الفدرالي» الذي قدم اعتذاره عام ٢٠٠٢م على لسان رئيسه الحالي «بِن بِرنانك» بقوله:

«دعوني أختم حديثي باستغلال منصبي قليلاً كممثل رسمي للاحتياطي الفدرالي. أود أن أقول لـ «ميلتون» و «آنا»[3]: في ما يخص «الكساد العظيم» أنتما

---

(1) http://www.guardian.co.uk/world/2004/jan/02/catholicism.religion.
(2) http://www.nytimes.com/2009/07/08/world/europe/08pope.html?_r=1.
(٣) «ميلتون فريدمان» و«آنا شوارتس» إقتصاديان أمريكيان ألقيا بلائمة الكساد العظيم على البنك الفدرالي.

على حق، نحن تسببنا فيه. نحن نعتذر بشدة، ولكن بفضلكما لن يتكرر ذلك»[١].

لكن بنك الاحتياطي الفدرالي الأمريكي ذا النفوذ المستقل تماماً عن الحكومة الأمريكية[٢] عاد إلى ما نُهي عنه، وتسبب في أزمة أخرى لم يعتذر عنها بعد، وها هي الأزمة تتفاقم بشكل مريب. ثم يظهر اليسوعي «كريس لوني» Chris Lowney - الذي كان عضوَ مجلسِ الإدارةِ المنتدب لشركة «ج. ب. مورجان» العملاقة J. P. Morgan Co. - ليعلن أن حل الأزمة الاقتصادية الحالية يكمن في اتخاذ القديس «إغناطيوس لويولا» ومنهجه اليسوعي أسوة[٣]!!

هذا التعليق من «كريس لوني» يقودنا إلى الحديث عن الوثيقة الخطيرة التي أصدرها «المجلس البابوي للعدالة والسلام» Pontifical Council for Justice and Peace في ٢٤/ ١٠/ ٢٠١١م. وهي وثيقة رسمية صادرة عن الفاتيكان الذي نحن بصدده «وتأمل أن يكون فيها نفعٌ لقادة العالم وكل أصحاب النوايا الحسنة».

تحمل الوثيقة عنواناً جريئاً: «في سبيل إصلاح الأنظمة المالية والنقدية الدولية في سياق مرجعية عالمية عامة»[٤]، وتُعد هذه الوثيقة التي تربو صفحاتها على العشر

(1) Harris, Ethan S. Ben Bernanke>s Fed: The Federal Reserve After Greenspan (Boston, Mass: Harvard Business Press, 2008), p. 117.

(٢) «بنك الاحتياطي الفدرالي» ليس خاضعاً لسلطان الحكومة الأمريكية، بل يتحكم فيه لوبيٌّ مستقل. حول هذا وغيره راجع كتاب «خفايا الاحتياطي الفدرالي» Secrets of the Federal Reserve لمؤلفه «يوستَس مَلِنز» Eustace Mullins.

(3) http://www.catholicregister.org/content/view/2338/849/lang,en/

(٤) انظر النص الكامل للوثيقة بالإنجليزية على هذا الرابط:

http://www.news.va/en/news/full-text-note-on-financial-reform-from-the-pontif.

من أهم ما أصدره الفاتيكان مؤخراً في الميدان الاقتصادي، وهي جديرة بالقراءة. ففي أثناء مقدمة الوثيقة يتحدث الكاردينال «بيتر تركسون» عن ضرورة تعاون الأمم لحل الأزمة الاقتصادية ويستدل لذلك بأن «قادة مجموعة العشرين أنفسَهم صرحوا في بيانهم الذي تبنَّوه في بيتسبرغ عام ٢٠٠٩م: إن الأزمة الاقتصادية تُظهر أهمية استهلال عهد جديد من النشاط الاقتصادي العالمي المستمر...»(١).

وتحت فصل بعنوان «سلطانٌ على العولمة» تشير الوثيقة إلى المنشور البابوي «سلام على الأرض» Pacem in Terris الذي أصدره البابا «يوحنا الثالث والعشرون» عام ١٩٦٣م، ولاحظ فيه «اتجاه العالم نحو توحد متزايد»، ثم أبدى طمعه في أن تقوم يوماً ما «سلطة سياسية عالمية حقة»؛ وهي العبارة ذاتها التي استعملها البابا الحالي - كما أوردتها أعلاه - بعد سلفه بستةٍ وأربعين عاماً. وهذا ما أكدته مراراً من أن مشروع العولمة سابق للأزمة المالية وليس ناتجاً عنها ولا حلاً لها كما يصور ذلك الإعلام الغربي ويردد صداه الإعلام العربي.

وكما يستر الفاتيكان أجندته العولمية خلف ستار الأمم المتحدة - التي هي بلا ريبٍ عندي نواة للنظام العالمي الجديد - فإنه يصنع الشيء ذاته هنا فيقول في نص الوثيقة: «لا يزال أمامنا طريق طويل قبل أن نتوصل إلى إقامة سلطة عامة ذات صلاحيات عالمية؛ لذا فإن من المنطقي أن تنطلق عملية الإصلاح جاعلة من الأمم المتحدة مرجعيتها نظراً لاتساع مسؤولياتها العالمية وكفاءتها في توحيد أمم الأرض وتنوع مهامها ومهام وكالاتها المتخصصة. أما ثمرة هذه الإصلاحات فينبغي أن

(١) لفهم هذا الكلام في سياقه أقترح على القارئ الكريم مراجعة أقوال الساسة الغربيين حول ضرورة إقامة «نظام عالمي جديد» في كتاب «اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد» (ص ٢٩٤ - ٣٠٧).

تكون القدرة الأكبر على تبني سياسات وخيارات ملزمة . . . ». أي أن العالم سيكون أسيراً لهذه السلطة المركزية المستبدة التي ستكون أقدر على إلزام غيرها بسياساتها العولمية.

ثم تقرر الوثيقة أن ثمة «افتقاراً متنامياً لهيئة تقوم بوظائف بنك مركزي عالمي من نوعٍ ما، ينظم تدفُّق ونظام التبادلات النقدية على غرار البنوك المركزية المحلية . . . ويمكن أن تُستَهل هذه العملية بتعزيز المؤسسات القائمة كالبنك الأوروبي المركزي. لكن هذا لن يتطلب إعادة نظر على المستوى الاقتصادي والمالي فحسب، بل أولاً وقبل كل شيء على المستوى السياسي، حتى يقام عددٌ من المؤسسات العامة التي ستضمن وحدة واطِّراد القرارات المشتركة». فالأزمة المالية هي البداية وليست النهاية. وسيعقب هذه الخطوة خطواتٌ أخرى «من العبث أن يُتنبأ بها في الوقت الحاضر» على حد تعبير الوثيقة. وأترك للقارئ الكريم فهم ما بين الأسطر. ثم تقترح الوثيقة بعض الإجراءات الجزائية: كفرض الضرائب على المعاملات المالية، وتجديد رؤوس الأموال لدى البنوك . . . إلخ.

ثم تثني الوثيقة على «العولمة» التي «تزيد الشعوب توحُّداً وتدفعهم للتحرك من أجل سيادة جديدة للقانون على المستوي الفوق - قومي، يسانده تعاون أكثر صرامة وأغزر نتاجاً». وتضيف:

«إن مهمة جيل اليوم أن يعترف ويتقبل بوعي هذه الديناميكية العالمية الجديدة لتحقيق الصالح المشترك العالمي. بالطبع سيكون هذا التحول على حساب تخلي كل أمة بشكل متدرج وموزون عن جزء من قواها لأجل السلطة العالمية . . . وكما قال الآباء [الكنسيون] في المجمع الفاتيكاني الثاني: إن هذه رسالة mission اجتماعية وروحية [دينية] على حد سواء».

أختم بهذه الكلمات التي تلخص الأجندة الرومية: «في عالم يشق طريقه إلى عولمة متسارعة، تصبح الإشارة إلى سلطة عالمية a world Authority الأفق الوحيد الذي يتناغم مع واقع عصرنا الجديد ومع احتياجات البشر. لكن ينبغي ألا ننسى أن هذا التطور - إذا ما اعتبرنا طبيعة البشر المكلومة - لن تتأتى دون آلام ومعاناة»؛ فهل نحن مستعدون لتحملها؟

إن ما نشهده في بلاد الغرب من تظاهرات على رأسها حركة «احتلوا وول ستريت» ليست أصداء لما يسمى بالربيع العربي - مع تحفظي الشديد على هذه التسمية - بل هي جزء من أجندة عولمية لإظهار هذه المؤسسات المحلية بمظهر العاجز عن إنعاش بلاده - وهي الآن كذلك - ودمج مؤسسات الاقتصاد المحلية في مؤسسة عالمية أقوى، وتسويغ إقامة «بنك مركزي عالمي» كما سمته وثيقة الفاتيكان التي نحن بصددها.

لقد صرحت foxbusiness على موقعها بأن وثيقة الفاتيكان «لا بد وأنها ستُبهِج متظاهري «احتلوا وول ستريت» والحركات المشابهة حول العالم»[١]. وفعلاً حدث ذلك؛ حتى إن بعض مسؤولي الفاتيكان حاول الدفاع عن المؤسسة الكاثوليكية قائلاً: «إن اشتراكنا [مع المتظاهرين] في بعض وجهات النظر من قبيل المصادفة. وعلى أية حال فإن هذه المقترحات [المطروحة في الوثيقة] قائمة على المعقولية»[٢]. بمعنى أن أي عاقل متأمل للوضع الاقتصادي العالمي سينتهي إلى فكرة

(1) http://www.foxbusiness.com/markets/2011/10/24/vatican-calls-for-global-authority-on-economy/

(2) http://www.washingtonpost.com/opinions/the-vatican-meets-the-wall-street-occupiers/2011/10/26/gIQAGO8EKM_story.html

مماثلة لما طُرح في هذه الوثيقة. وهذا كلام عارٍ عن الصحة مردود على صاحبه. فإن النفَس التآمري يوجد من بين كلمات الوثيقة، ولَيُّ الوقائع فيها لتسويغ المشروع العولمي لا يخفى على ذهن القارئ الحصيف.

إن الحديث حول الفاتيكان والحكومة العالمية حديث يطول، وهو يبعث في الأذهان كلمات الاقتصادي «جيمز واربرغ» عام ١٩٥٠م في شهادته أمام «لجنة العلاقات الخارجية» التابعة لمجلس الشيوخ حين قال: «ستكون حكومة عالمية، شئنا ذلك أم أبينا. إن السؤال هو مجرد ما إذا كانت الحكومة العالمية ستتحقق بالسلم أم بالحرب»[١]، وكلمات «روي م. آش» عام ١٩٧٢م أنه «خلال عقدين من الزمن سيكون الإطار المؤسسي لجماعة اقتصادية عالمية قد أخذ مكانه . . . وستمنح مقاليد السيادة الفردية لسلطة فوق - قومية»[٢]. وكأنه يقتبس من وثيقة الفاتيكان!

وفي عام ١٩٧٥م وَقّع ٣٢ عضواً في مجلس الشيوخ و ٩٢ عضواً في مجلس النواب في الكونجرس وثيقة بعنوان «إعلان الاعتماد المتبادل» The Declaration of Interdependence كتبها المؤرخ «هنري كوماجر» جاء فيها: «لابد أن نتحد مع الآخرين لإيجاد نظام عالمي جديد . . . إن المفاهيم الضيقة للسيادة القومية يجب ألا تُمكَّن من عرقلة ذلك الواجب»[٣]. لكنَّ عضو الكونجرس «مارجري

---

(1) Lesac, Jerry. Crop Circles and Climate Change (Xulon Press, 2008), p.212.

(2) Epperson, A. Ralph. The Unseen Hand: An Introduction to the Conspiratorial View of History (Publius, 1985), 368.

(3) Myers, Sondra & Benjamin R. Barber. The Interdependence Handbook (IDEA, 2004), p. 98-99.

هولت» رفضت التوقيع على الإعلان قائلة :

«إنه يدعو إلى التنازل عن سيادتنا القومية لصالح المنظمات الدولية. إنه يعلن أن اقتصادنا ينبغي أن يضبط من قِبَل سلطات دولية. إنه يقترح أن ندخل نظاماً عالمياً جديداً يعيد توزيع الثروة التي جمعها الشعب الأمريكي... هذه قذارة تُنجِّس [وثيقة] إعلان الاستقلال التي وُقِّعت قبل ٢٠٠ عام في «فيلادلفيا»... فهو [أي «إعلان الاعتماد المتبادل»] ينص - على سبيل المثال - على أن «اقتصاد كل الأمم هو نسيج متداخل، فلم يعد بالإمكان لأمة واحدة أن ترعى بكفاءة عملياتها الإنتاجية وأنظمتها المالية دون الاعتراف بضرورة التقنين المشترك من قبل السلطات الدولية.» هل تعجبكم فكرة «سلطات دولية» تتحكم في إنتاجنا ونظامنا المالي...؟... إذا ما تنازلنا عن استقلالنا لـ «نظام عالمي جديد»... فقد خُنَّا قِيَمنا التاريخية من حرية وحكم ذاتي»[1].

إن هذا بالضبط ما يخطط له الآن، بل شُرع في تنفيذه ونحن في جهالة جهلاء وسهو وغفلة وكأن الأمر لا يعنينا. أليس لدينا من الحصافة ما ندرك به التواطؤ الغربي على اقتصاد العالم وسياساته؟ أم أن هذه المرأة التي استشرفت هذا الواقع قبل أكثر من ثلاثين عاماً هي أرجح عقلاً من رجالنا ونسائنا؟ من كان يظن أنه بتغافله عن هذا الواقع المرير سيكون في معزل عن آثار العولمة المقيتة فهو حالم، إن الأمر أعظم من ذلك، إنها مؤامرة عالمية لإضعاف أهل الإسلام وتقوية أهل الباطل. أسأل الله - عز وجل - أن يكفَّ عنا شر الأشرار وكيد الفجار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) Melvin Stamper Jd. Fruit from a Poisonous Tree (Bloomington, IN: iUniverse, 2008), p. 118.

هل ستنتصر الأمم المتحدة لسيد المرسلين؟!

مجلة البيان - عدد (٢٠٤)

تردَّدت في أعقاب الهجمة الأخيرة المعهودة من أهل الكتاب على خير البشر ﷺ دعـواتٌ من جهات شتى مطالبةً الأمم المتحدة باستصدار قرار يقضي بعدم الاعتداء على المقدسات أو المساس بالأديان.

إنـه لمن المؤسف حقاً أن يظن بعض المسلمين أن استصدار مثل هـذا القرار سيضمن حماية لمقدساتهم وعقيدتهم دون التنازل عن ثوابتهم مقابل هذه «الحماية الدولية». فهذه الدعوة ليست نتيجة الأحداث الأخيرة التي هي سنة ربانية في حق الرسل وأتباعهم من المؤمنين، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، بل هي واحدة من محاولات بدأت على الأقل منذ عام ١٩٩٩م لوضع ضوابط كلية تهدف الأمم المتحدة من خلالها إلى توجيه عقائد العالم كما توجه سياساته، وهو ما يمكن تسميته «عولمة الدين».

لما قامت شركة الأزياء الفرنسية (Marithé François Girbaud) عام

٢٠٠٥ بتمثيل المسيح - عليه السلام - وحوارييه (وفقاً للمعتقد الكاثوليكي) بطريقة تحاكي لوحة «العشاء الأخير» التي رسمها ليوناردو دا فنشي؛ سارع القضاء الفرنسي إلى تجريم هذا الفعل ومنع نشر الإعلان، واصفاً إياه بـ «التدخل السافر غير المبرر في عقائد الناس الجوهرية»[1]، ثم أصدرت الحكومة الإيطالية قراراً مشابهاً لأن في الإعلان اعتداء على الطائفة الكاثوليكية. لقد توقفت حرية التعبير حيث جُرحت مشاعر البابوية، فسارعت الدولتان الكاثوليكيتان فرنسا وإيطاليا إلى تكميم الأفواه لما كان الأمر متعلقاً بمرجعيتهما، لكن اعتداء زعيم الصليبية على الإسلام ونبيه ﷺ لم يحرك في دول الغرب ساكناً ولم يعتذر هو عن ذلك، بل لم تتجرأ الحكومة الأمريكية على نقده لما تعدى على الطائفة البروتستانتية في زيارته للولايات المتحدة عام ٢٠٠٧م وعَدَّ كنائسها باطلة.

لكننا هذه المرة أمام تجاوز غير كاثوليكي (بل قبطي أورثودكسي في الظاهر) يمكن أن يستغل ليُستصدر به قانون يحفظ حقوق الأقليات النصرانية باسم الدفاع عن الأديان، ولهذا أعرب الفاتيكان عن رفضه للفيلم ودعوته إلى السلام في لغة مزدوجة مألوفة من معقل الصليبية الذي كان بالأمس القريب طعّاناً في الإسلام. وتبعاً لذلك سارع البطريرك الماروني بشارة الراعي بعد لقائه سيده البابا بندكت السادس عشر، إلى الدعوة إلى قانون يمنع الاعتداء على الأديان، وأعرب في ثنايا دعوته عن أن النيل من الإسلام نيل من جميع الأديان. لكن بطريرك المارون لم يخفِ غرضه من الدعوة، بل صرح - وفقاً لوكالة الأنباء (Romereports) - بأن النصرانية مستهدفة غالباً، وأن يسوع (عيسى عليه السلام) والكنيسة والكتاب المقدس، يتعرضون للهجوم والشتم في الأفلام والوثائقيات، وللحيلولة دون ذلك

(1) BBC News «French Court Bans Christ Advert».

يريد من الأمم المتحدة أن تتدخل بإصدار قرار[1].

وهذا مربط الفرس بالنسبة لكبراء النصارى الداعين إلى قانون يجرّم الاعتداء على الأديان والمقدسات، فهم سيتخذون من هذا الحدث سُلَّماً يرتقون به إلى ما يضمن مصالحهم، وعلى رأس هذه المصالح حماية وتسمين الأقليات النصرانية في بلاد الإسلام بعد أن تبيّن جلياً سعي دول الغرب الاستعمارية في الأعوام الأخيرة إلى استغلال بعض الأحداث المتعلّقة بالأقليات في العراق ومصر وغيرهما في محاولة للتدخل في شؤون البلاد الإسلامية، لكن هذا التدخل قد يتخذ في المستقبل مسلكاً رسمياً دولياً تحت مظلة الأمم المتحدة.

لعل صيغة القرار النهائية لقانون مناهضة الاعتداء على الأديان، محفوظة في الأدراج لحين الحاجة إليها، بل إننا نمتلك صيغة مشابهة صادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة والستين بتاريخ ١١ أبريل ٢٠١١م، عنوان القرار «مناهضة تشويه صورة الأديان»، وهاك فقرات من تلك الوثيقة:

«ترحب [الجمعية] بما أعرب عنه في إعلان الأمم المتحدة للألفية الذي اعتمدته الجمعية العامة في ٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠ من تصميم على اتخاذ تدابير للقضاء على الأفعال العنصرية وكراهية الأجانب المتزايدة في مجتمعات كثيرة».

«وإذ تعرب [الجمعية] عن بالغ القلق إزاء ازدياد العنف العنصري والأفكار الداعية إلى كراهية الأجانب في أنحاء عديدة من العالم وفي الدوائر السياسية ولدى الرأي العام وفي المجتمع ككل، نتيجة لأمور عدة، منها: معاودة الأحزاب

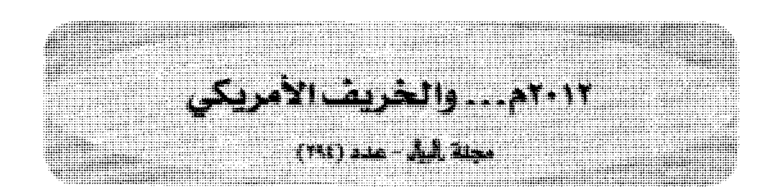
(1) http://www.romereports.com/palio/catholic-patriarch-un-resolution-thatoutlaws-religious-defamation-is-needed-english-7740.html#.UGaqTpjMiJo.

والرابطات السياسية المنشأة على أساس برامج ومواثيق عنصرية ومحرضة على كراهية الأجانب وقائمة على فكرة التفوق الإيديولوجي... والتمادي في استغلال تلك البرامج والمواثيق للترويج للإيديولوجيات العنصرية أو التحريض على اعتناقها».

«تلاحظ [الجمعية] مع القلق أن الحط من شأن الأديان والتحريض على الكراهية الدينية عموماً، يمكن أن يؤديا إلى التنافر الاجتماعي وانتهاك حقوق الإنسان، وإذ يثير جزعها عدم اتخاذ بعض الدول أي إجراءات لمكافحة هذا الاتجاه المتنامي وما ينجم عنه من ممارسات تمييزية ضد معتنقي أديان معينة».

خلاصة القول: إن قرار الأمم المتحدة المعَدّ سابقاً سيساوي بين الضحية والجلاد، وسيسعى إلى تسوية دين الله الحق بغيره من أديان البشر تحت ذريعة محاربة الأحزاب والجماعات التي تمارس العنف لقيامها «على فكرة التفوق الإيديولوجي». وسيترتب على هذا تمييع القضايا العقدية الجوهرية كالولاء والبراء، وسيعد استعمال بعض الألفاظ الشرعية كـ «الكافر» و«المبتدع» من الدعوة إلى الكراهية والتعدي على حقوق الإنسان، وقد يمنع المسلم من نقض عقائد التثليث والصلب ونحوهما في سياق دعوته النصارى باعتباره تجاوزاً على خصوصيات الآخر، وقد يُجرَّم القائل بأن كتب اليهود والنصارى محرفة. وقد قلت قبل عامين تقريباً لأحد الإخوة مُتندِّراً: يوماً ما قد يُصادَق على الأحكام الشرعية في بلاد الإسلام من قبل الأمم المتحدة، ولا أراه بعيداً.

إن دور الأمم المتحدة على الصعيد الديني لن يقل خطورة ومراوغة عن دورها على الصعيد السياسي، وهو حلقة في مشروع العولمة (أو النظام العالمي الجديد)، الذي يسعى للقضاء على ثوابت الدين وتتبناه هذه المنظمة، بل تتولى كبره.



مضى عام منذ أن انقدحت شرارة الثورات في العالم العربي فتغيرت خريطته السياسية إلى حدٍّ لم يكن في حسبان المراقبين ولا المحللين السياسيين؛ ولا تزال آراؤهم تتردد بين المبارِك والمشكك. في هذه الأثناء كانت الساحة الغربية تشهد مواجهات بين بعض الحكومات وشعوبها جراء الحيف الاقتصادي الذي أصبحت تعانيه شعوب العالم عموماً، ولعل من أشهر هذه المواجهات ما يجري في الولايات المتحدة الأمريكية من اعتصام معارضين يُعرَفون باسم حركة «احتلوا وول ستريت!».

وبصرف النظر عن حقيقة هذه الحركة والأقطاب التي توجِّهها كـ«مايكل مور» وغيره، إلا أنها تُعَد إرهاصاً لأزمة كبيرة قد تنتهي إلى خريف أمريكي[1]. والحديث هنا ليس من قبيل ما يتخرصه بعض الحزَّائين من أن أمريكا ستنتهي في عام ٢٠١٢م

(١) في نظري أن حركة «احتلوا وول ستريت» لا تعدو كونها فتيلاً لإشعال أزمة أمنية داخل الولايات المتحدة.

بناء على عدد الأحرف أو الأسطر في سورة ما من كتاب الله - عز وجل - وكأننا في مدراش يهود؛ بل ما أودُّ عرضه هنا هو مجرد قراءة للواقع الأمريكي بناء على معطيات ملموسة، قد أُصيب فيها وقد أُخطئ.

تشير إحدى الوثائق[1] التي سُرِّبت مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن شركة المقاولات الشهيرة «كيلوج براون آند روت» KBR تسعى إلى تفعيل معسكراتٍ كانت قد بُنيَت لصالح «الوكالة الفدرالية لإدارة الطوارئ» و «فيلق مهندسي الجيش الأمريكي» في أنحاء الولايات المتحدة. يأتي هذا بعد إقرار مجلس الشيوخ للبند ١٠٣١ من «قانون ترخيص الدفاع القومي للسنة المالية ٢٠١٢م» The National Defense Authorization Act for the Fiscal Year ٢٠١٢م، والذي يمنح الحكومة الحق في القبض على المواطن الأمريكي وحبسه في معسكرات اعتقال، بل وإرساله إلى «جوانتانامو» دون محاكمة إن استدعى الأمر ذلك[2].

وقد كانت وزارة الأمن القومي بالولايات المتحدة قد تعاقدت عام ٢٠٠٦م مع شركة «كيلوج براون آند روت» لبناء معسكرات اعتقال مختصة بالتعامل مع احتمال «تدفُّق طارئ للمهاجرين داخل الولايات المتحدة» أو «برامج جديدة»[3] لم تفصح عنها. لكن عدداً من المحللين السياسين يرون أن السبب الحقيقي وراء

---

(١) اقرأ الوثيقة على الرابط التالي:

http://static.infowars.com/2011/12/i/general/kbr-doc.pdf.

(2) http://www.ng.mil/ll/analysisdocs/FY2012/House%20Report%20 112-74.pdf.

(3) http://www.marketwatch.com/story/kbr-awarded-homeland-security-contract-worth-up-to-385m.

تفعيل هذه المعسكرات هو أن أمريكا مقبلة على أزمة اقتصادية حقيقية قد تتحول إلى فقر مفاجئ قد يتسبب في ثورة شعبية واسعة. لكن هذه الثورة ستجابَه بالقمع من قِبَل حكومة أمريكية فاشية مرتقبة. ولعل ما يتعرض له محتجو «وول ستريت» من ممارسات قمعية تتعامى عنها وسائل الإعلام العربية والعالمية (لأسباب غير بيِّنة) يمنحنا صورة مصغرة لما قد تؤول إليه الأمور في الأشهر القادمة.

مما يشهد لهذه الاستعدادات قيام شرطة نيويورك بعقد «تدريبات تعبئة» استعداداً لعصيان مدني محتمل داخل الولايات المتحدة، وكذلك إطلاقها برنامجاً جديداً مصمَّماً لاكتشاف أي مؤشرات تمرد على شبكات التواصل الاجتماعي. كما حَشَدت وحدة السيطرة بشرطة نيويورك قواتها من كل أنحاء المدينة لتدريبهم على ردود الفعل المناسبة في حالة «اندلاع أعمال شغب لا تمكن السيطرة عليها»[١]. بل إن أحد الألوية من فرقة المشاة الثالثة في الجيش الأمريكي بالعراق قد استُدعي إلى الولايات المتحدة «للمساعدة في التصدي لأي اضطرابات مدنية، أو لكبح جماح الجماهير، أو للتعامل مع سيناريوهات رهيبة محتملة: كالتسمم واسع النطاق أو الفوضى العارمة جراء انفجار كيميائي أو بيولوجي أو إشعاعي أو نووي...»[٢].

وقد صرحت صحيفة «واشنطن بوست» في مقال نشر عام ٢٠٠٨م بأن «الجيش الأمريكي يتوقع بحلول عام ٢٠١١م وجود ٢٠٠٠٠ جندي بزيه الرسمي داخل الولايات المتحدة، مدرَّبٍ على مساعدة مسؤولي الدولة والمسؤولين المحليين

(1) http://www.metro.us/ArticlePrint/942885?language=en.

(2) http://www.armytimes.com/news/2008/09/army_homeland_090708w/.

في التصدي لأي هجوم إرهابي نووي أو كارثة محلية أخرى»[1].

يضيف المقال أن انتشار الجيش في حالة الطوارئ المحلية يُعَدُّ «أول مثال على اتساع السلطتين الرئاسية والعسكرية، وتشديد الرقابة الداخلية»؛ ولذا حذر نائب رئيس «معهد كاتو» Cato Institute «جين هيلي» من «عسكرةٍ زاحفةٍ» للأمن القومي في الولايات المتحدة[2].

قريب من هذا ما نشره «معهد الدراسات الإستراتيجية» التابع لكلية السلاح العسكرية بالولايات المتحدة في تقريره المعنون «المجهولات المعلومة: «صدمات إستراتيجية» غير تقليدية لتطوير إستراتيجية الدفاع»[3]. يحذر التقرير من أن الولايات المتحدة قد تتعرض لاضطرابات مدنية خطيرة في أعقاب سلسلة من الأزمات أسماها «صدمات إستراتيجية»، وأنه قد يُلجأ إلى الجيش لقمع الفوضى الناتجة. يقول كاتب التقرير (المقدَّم المتقاعد «ناثان فرير»):

«سيؤدي العنف المدني الواسع داخل الولايات المتحدة [إذا ما حصل] إلى إكراه مؤسسة الدفاع على إعادة ترتيب الأوليات عند اللزوم في سبيل الدفاع عن أدنى متطلبات الاستقرار الداخلي والأمن البشري».

وفي حوار أُجرِي مع «زبيجنيف بريجنسكي» على قناة MSNBC تنبأ مستشار الأمن القومي الأسبق باضطرابات داخل الولايات المتحدة نتيجة أزمة اقتصادية قد

(1) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2008/11/30/AR2008113002217.html.

(2) http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2008/11/30/AR2008113002217_2.html?hpid=topnews.

(3) http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/Pubs/Display.Cfm?pubID=890.

تُحدِث تغييراً جذرياً في مستوى الحياة المعيشية في الولايات المتحدة، ودرجةً من الفقر كفيلةً بإثارة اضطرابات داخلية تكون فيها هلَكةٌ عَرَّض بها «بريجنسكي» ولم يشأ أن يصرح. قال «بريجينسكي»:

«لا أود أن أكون نذير هلاك، ولا أظن أننا نقترب من هلاك؛ لكن أظن أننا نهوي في صراعات اجتماعية محتدمة، وعداوات اجتماعية، وشكل من أشكال الراديكالية؛ سيكون ثمة شعور أن هذا المجتمع ليس مجتمعاً عادلاً»[1].

لا شك أن اضطراب الاقتصاد في الولايات المتحدة ستكون له تداعياته في الدول المرتبطة بالدولار الأمريكي، وقد يؤدي هذا إلى أن تبحث تلك الدول عن بدائل أكثر استقراراً، وهو ما سيشكل ضربة قاصمة لاقتصاد الولايات المتحدة؛ عندها ستنعكس هذه التداعيات مباشرة على «إسرائيل» التي تقتات على الدعم الأمريكي، وقد تشاطرها الفقر.

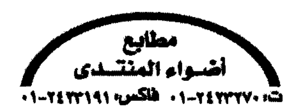
أما تحول أمريكا من دولة ديمقراطية إلى دولة فاشية فهو محتمل، بل وشيك، وقد يحدث في ظل حكومة «أوباما»؛ خصوصاً إذا علمنا أن حركة «احتلوا وول ستريت» وأمثالها من الحركات أصبحت تصنَف من قِبَل بعض المسؤولين في الولايات المتحدة وبريطانيا على أنها «جماعات إرهابية» وليست تعبيراً سلمياً عن مطالب ديمقراطية. وإذا أصبح هذا قانوناً عندها سيكون التعامل مع الشعب المطالب بحقوقه كالتعامل مع الجماعات «الإرهابية»، وحينها تنفجر الأزمة.

(1) http://www.clicker.com/tv/morning-joe/how-income-disparity-can-lead-to-unrest-1945416/.

فهرس الموضوعات






مطابع
أضـواء المنتـــدى
ت: ٠١-٢٤٣٣٢٧٠ فاكس: ٠١-٢٤٣٣١٩١

هذا الكتاب:

❞ سألني من تعينت إجابته أن أجمع شتات ما سطرته من مقالات لمجلة البيان في زاويتها الموسومة بـ«الغرب: قراءة عقدية»، فأجبتهم إلى ذلك بهذا الذي بين يديك. وقد جعلت ترتيبه حسب موضوعه دون اعتبار لتاريخ نشره. فبدأت بما يتعلق بالمصدر الذي يعتمده الغرب المتدين - أعنى الذي يدْعونه «الكتاب المقدس»، وبينت زيف ما يدَّعونه من كثرة مخطوطاته وصيانة لغاته. ثم أتبعت ذلك بذكر المستشرقين ونظرتهم لكتاب الله عز وجل ودسائسهم في ترجمات معانيه.

انتقلت بعدها إلى الحديث عن أصول الباطنية الغربية وعلاقتها بالأصول الوثنية البابلية والفرعونية واليونانية والرومية، وكيف تسربت بعض أشكال هذه الباطنية إلى بلاد الإسلام بأشكال منها تَعلُّق تمائم القرن التي تعرف بسوار الطاقة ونحوها.

أوردت بعدها ما يتعلق بمعقل النصرانية الأول في بلاد الغرب - أعني روما، ويدها الخفية في السياسة العالمية عن طريق التنظيمات الباطنية، ومشروعها الذي تسعى من خلاله إلى استرداد بيت المقدس باسم حل الدولتين، ودور البهائية في خدمة هذا المشروع. ❝

المؤلف



مكتب مجلة البيان - ص.ب ٣٦٩٧٠- الرياض ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٥٤٦٨٦٨